شَاطِئُ الحِرْمَانِ

الكتاب: شَاطِئُ الحِرْمَانِ

المؤلف: علاء أبو شحاتة

تصنيف الكتاب: نصوص أدبية

رقم الإيداع: 2020/7440م

الترقيم الدولي: 978-977-85620-3-3

لا يجوز نسخ أو اقتباس أو تقليد بعضاً من أو كل من العمل بدون موافقة خطية من الكاتب ومن يفعل ذلك بدون إذن كتابي من مؤلف العمل يعرض نفسه للمسائلة القانونية.

جميع حقوق التأليف محفوظة للمؤلف

منوعات أدبية

شَاطِئُ الحِرْمَانِ

علاء أبو شحاتة

إهداء

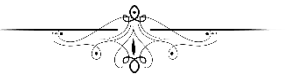

يا آسراً ببريقِ عينك مهجتي

وحنايا قلبي بنارِ شوقك مُحْرَقةْ

يا فاتنًا لكياني إنّي لعاشقٌ

أضحت خطاه ببحرِ حبّك غارقةْ

يا ظالمًا ببهاءِ حسنك إنّني

أنفاسُ عمري بحصنِ قلبك عالقةْ

إن كان حبُّك قد تَمَلّك دنيتي

أحلامُ قلبي بغزو قلبِك واثقةْ

علاء أبو شحاتة

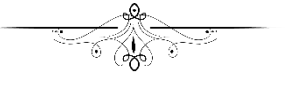

الفهرس

إهداء 5

أولاً قصائد الفصحى

اعترافاتُ عاشقٍ 14
مليكتي 16
ليلاه 18
معذبتي 21
أرضُ الخوف 22
ميثاقُ الهوى 23
يقين 25
عيونك كل احلامي 27
وأنا الغريق 28
عيونٌ ساحراتٌ 29
أشرَقَت 30
ارحلي 32
بريق عينيك 34
صرخة 35
ليلى والمجنون 36
أعلمتها 37
لا تخجلي 38
عيناكِ 39
وقالتْ: أُحِبُّك 40

ألا تدرينَ 42
جنون امرأة 43
وجه القمر 44
ثورة 45
في عينيك عنواني 46
حلمٌ يبغي الاكتمال 47
أماه 49
حداد 50
عنود 51
دعيني 53
رؤياك 54
غرباءٌ 55
وهمُ الحريةِ المسلوبةِ 57
وأزعمُ 59
لملم شتاتك 60
معاناة محب 61
خيرُ البرية 62

ثانيا قصائد العامية

أنتَ العذاب 64
يا عين 65
لأنك 66
قالت لي بحبك 67

بحلم 68
أول ما شوفتك 69
وعدتك 70

ثالثا مسرحيات من فصل واحد

مسرحية طريقُ المَجْدِ 72
مؤامرة على عاشق 78
نظارتي 85
لقاء 88
هو وهي 94

رابعاً: المقالات والقصص القصيرة

أحلامٌ مبعثرةٌ على شاطئِ الحرمان 97
سوق واقف العتيق ..... Error! Bookmark not defined.
عُنَيْزَة الحلم "المرأة الكاملة " 102
يومياتُ معلمٍ في الأريافِ " 1 " 104
يومياتُ معلمٍ في الأريافِ " 2 " 107
يومياتُ معلمٍ في الأرياف " 3 " 111
حكاياتٌ طائشةٌ 116
سرُ الغرفةِ "13" 121
قمّةُ الألمِ 129
سجنُ الكلماتِ 131
صديقُك من الألفِ إلى الياءِ 132
محطةُ وصولٍ 134

محبوبتي.....135
في ذكري رحيلك يا أمّي.....136
الأقنعةُ البشريةُ.....137

خامساً الخواطر والحكم

قمرٌ أنتِ.....140
الآن.....140
الفصولُ الأربعةُ.....141
قال لها.....141
الأهدافُ الواعيةُ.....142
ردُ الجميلِ.....142
مرافئُ الصّمْتِ الحكيمِ.....143
رحلةُ حبٍّ.....143
أعيروني.....144
الخسارةُ.....144
ابتسم.....145
المنطقةُ المظلمةُ.....146
قطارُ الفرصِ.....146
تأشيرةُ عبودية.....147
الحبُّ مِنْ طرفٍ واحدٍ.....147
مشاعلُ النُّورِ.....148
كن ذا مروءةٍ.....148
عيونُك وطني.....149

سراجُ الحياةِ.....149
شَتَّانَ.....150
صَمَّامُ الأمانِ.....150
توازنٌ.....150
التخطيطُ والهمجيةُ.....151
أقلامُ التلوين.....151
لمسةُ جنونٍ.....152
عدوى الطموحِ.....152
الإصرار.....153
تقلبُ الفصولِ.....153
إليكِ.....154
سفينةُ الحياةِ.....155
أبوابُ السّعادة.....155
لا تندفعْ.....156
كن ذا أثرٍ.....157
كلُ مرٍ سيمرُ.....157
الأقدارُ الجميلةُ.....158
إذا ضربتَ فأوجعْ.....158
ناطحاتُ السرابِ.....159
ضعْ بصمَتَك.....159

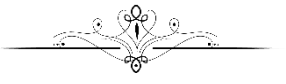

أولاً : قصائدُ الفصحَى

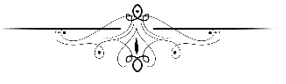

اعترافاتُ عاشقٍ

يا زهرةَ قلبي وحياتي

ومرايا صحوي وسُباتي

آهٍ لو تدري يا زهرةْ

كم جُرحكِ غائرُ في قلبي

كم حبّكِ عالقُ باللبِّ

تتناغمُ فيه الأطيارْ

أتجاوزُ دومًا كي أرحل

كي أسعي نحو الإعمارْ

لكن لا أدري ولماذا

إن شئتُ الثَورةَ أتلاشى

لا أدري أنىّ أختار

إن قلتُ نجاتي ببعادك

يغمرني فيضُ التّيارْ

وشراعُك يأبى أن يلفظ

أفلاكَ هوايا الإعصارْ

لا يرغبُ إلّا أن يُبْحِر

والبحرُ رموزٌ وخفايا

موجٌ وسفينٌ وفرارْ

سيدتي ومليكةُ عمري

الآن أرِيك الإقرارْ

لا سواكِ أبغيه حبيبًا

وبدونك لا يُرجى قرارْ

عطفًا يا حُلماً أعشقه

عطفًا يا نبعَ الأسرارْ

الحلمُ وإن كان صعيبًا

يكفيني حنينُ الأقدارْ

مليكتي

حبيبتي مليكتي وحنايا نبضي والمصيرْ

أعياني بحثي والمسيرْ

أدماني دمعٌ لا يخور

ها قد رجعتُ حبيبتي أشقى بأغلالِ الهوى

والحرفُ فيّ توّحدَ وتباعدَ

قد تمخّضَ عن أمورْ

كالبرقِ يعلو الضّوءُ منه

فارتجفنا وانتشينا واعتلى فينا السّرورْ

قد رجوتُ الغيثَ فيه

نرتوي منه النجاةْ

تُرتَجى فيه الحياةْ

ثمّ لم يمضِ طويلًا

من ليالٍ أو دهورْ

وانطفى حُلمُ الطّفولةِ

وامتطى شمسَ الرّحيلْ

حبيبتي ، أنفاسَ عمري والمُنى

ها أنا ذاتُ الكليل

خاشعًا ضائعًا يختنقُ منّي الهوى

يختفي نبعي الأسيرْ

واستحال الشّوقُ شوكاً

يقتفي خطوي العليلْ

عذرًا يا نورَ حقيقتي

عذرًا يا طُهرًا أرتجي

وأسيرتي وطفولتي

والمهدُ أنتِ والحياةْ

فلتغفري ولتصفحي

قد عدتُ تواً من دحورْ

أدنو وأُبدِي رجاوتي

أفضضُ آثارَ القبورْ

فلتَقْبَلي منّي دموعي والأنينْ

ولتمسحي عنّي إساءاتِ الهوى

ولينتظرْ قلبي رضَاكِ والحنينْ

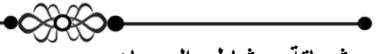

ليلاه

ليلاه يا سرَّ الحَكَايا

ليلاه تدرينَ البدايةْ ؟

أم أنّنا كنّا مزيجًا في الحنايا

والحلمُ أعياه المسيرْ

ثمّ اختفى خلفَ السّتورْ

حبيبتي

أنفاسَ عمري والمنى

هل حان بدءُ لقائِنا

وتواعدت فينا دمانا والأنينْ

أفلا تداوي عثرتي

ورضاكِ يمسحُ دمعتي

هذا سؤالٌ حائرٌ

تحمله أشواقُ الحنينْ

أدمتها أغلالُ الهوى

كيف السّبيلُ حبيبتي

أم كيف أنتِ مليكتي

صوتٌ تعالى بخاطري

فتمايلت منه الدّنا

واعشوشبت أرضُ المُنى

وتصالحت شمسُ الحقيقةِ مُنيتي

وتراجعت ظُلَمُ التّعاسةِ شَقْوتي

وتناغمت فيّ أمانيُّ الهوى

وتراقصت دمعي وغاب أنينُها

والطّيرُ عاد مغردًا

كم كان قبلك ساكنًا

أعيته نفسي الحائرةْ

ليلاه يا نورًا أتي

لو كنتُ أعلمُ أنّني

يومًا سأدركُ بُغيتي

أن ألتقي وحبيبتي

فنكونَ نبضًا خالدًا

آهٍ،،،، لو تعلمين حبيبتي

شمسٌ أضاءت ظُلْمَتي

غرسٌ تعاهد مهجتي

أدعوك دومًا مُنيتي

وطفولتي وأمومتي

لا غيرَ حبّكِ أرتجي

وبنورِ ربّكِ نهتدي

فلتُقبلي ولتقبَلي

إحساسَ قلبٍ عاشقٍ

معذبتي

مُعَذّبَتِي

أحقٌ أنتِ سامعةٌ

أنينَ هوايا من ألمي ؟

مُعَذّبَتِي

ظننتُ البعدَ يشفيني

فزاد الشّوقُ من نَدَمي

مُعَذّبَتِي

قوليها : هواكَ يملكني

لعلّي أعودُ من عدمِ

قوليها ؛ " حبيبي " تحييني

لعلّ جراحي تلتئمِ

أنيري الدّربَ غاليتي

كرهتُ العيشَ في الظُلَمِ

أرضُ الخوف

بأرضِ الخوفِ يصيرُ الحبُّ جُرْمًا
بأرضِ الخوفِ ينتحرُ الكلامْ
بأرضِ الخوفِ تغيبُ الشّمسُ دومًا
ويعلو الليلُ مملكةَ الظّلامْ
بأرضِ الخوفِ تُنتهكُ الصّبايا
ويُنْحَرُ فيها فُرسانُ الغرامْ
بأرضِ الخوفِ تحصدنا المنايا
ويغشى الجوَّ غربانٌ لئامْ
فذا حبٌّ تراه يموتُ خوفًا
وذا وطنٌ يُعَنْصِره الفِئامْ
ظننتُ هوانا يجمعنا ولكن
بأرضِ الخوفِ لقيانا حرامْ
لعلّ اللهَ يجمعنا بأرضٍ
تُبيدُ الخوفَ وتَنعمُ بالسلامْ
وعند اللهِ تَحتكمُ الخصومُ
وعند الله تهجرنا الآلامْ

ميثاقُ الهوى

عمري ومنايا وأحلامي
أسّسنا هوانا على خمسِ
أقسمنا بجهرٍ وبهمسِ
دنيايَ عيونُك أهواها
ما أرجو حبيبًا سوى أنتِ
والعمرُ ضياءٌ بكِ أنتِ
وحياتي وحلمي وصبايا
حاءٌ أوباءٌ لكِ أنتِ
وحنايا فؤادي أوديةٌ
لا يروي ظماها سوى أنتِ

عمري ومنايا وأحلامي
حبّكِ بفؤادي ما يهذي
نارٌ تتشوّقُ لكِ أنتِ
من فرطِ هوايا وحنيني
أبدلتُ حروفي بكِ أنتِ
قد صرنا مزيجًا ودماءً

اثنينِ بواحدِ إن شئتِ

حرًا وأسيرًا لهواكِ

وعشيقًا هام بعينيكِ

عمري ومنايا وأحلامي

أسّسنا هوانا على خمسِ

قد صرنا مزيجًا من أمسِ

قد صرتُ بدونكِ لا أحيا

وميثاقي أقبّلُ شفتيكِ

عيناكِ طوفانٌ أعشقه

وجراحي أنينٌ أسكنتِ

عمري ومنايا وأحلامي

أسّسنا هوانا على خمسِ

أقسمنا بجهرٍ وبهمسِ

قد صرنا مزيجًا من أمسِ

يقينٌ

يومًا سيأتينا الهوى

ويقول قد طال النّوى

عذرًا يا أطهرَ عاشقٍ

قد ساء منّا المحتوى

قد ساء فينا عاشقينا

وهجرنا إحساسَ الرِّوى

ثم التقت فينا الدّنايا

مُتعٌ ودربٌ من خطايا

وإن صاح فينا مُطَهرٌ

أعياه أجسادٌ مطايا

طُهرُ الهوى يا لهفَ قلبي العاشقِ

ما عاد إلّا مُظلمًا

قد شاب مُذ وأدوا الحنايا

ما الحبُّ إلا نظرةٌ

يعقبها إحساسُ البدايةْ

أشواقُ قلبٍ عاشقٍ

أغواه أحلامٌ صبايا

لو أنّني ... لو أنّكِ

لو أنّنا صرنا مزيجًا ثائرًا

هل نخشى أحقادَ النّهاية ؟

عيونُكِ كلُّ أحلامي

عيونُك رغمَ ما فيها
من المجهولِ والأحزانْ
تمدُّ إليّ أشرعةً
وتُحيي معالمَ الإيمانْ
أداوي فيها آلامي
ما بينَ الموجِ والشّطآنْ

عيونُك كلُّ أحلامي وأيامي
وشيءٌ لا يفارقني ...
بأيّ مكانْ
وأقسمُ ... دونَ عينيكِ
مُعذّبَتي
لا أدري سواكِ يا عمري
حنينَ الدّفءِ والأوطانْ

وأنا الغريقُ

وأنا الغريقُ المستباحُ ببحركم

وأنا الصّريعُ عبثت به أيدي الهوى

تعسًا لقلبٍ خانعٍ مستسلمٍ

رَضِيَ التّحامقَ مذهبًا مُتذبذِبًا

دامت لكم منّا معالمُ ضعفِنا

ويظلُّ دومًا هجرُكُم لنا مَعْلَمَا

عيونٌ ساحراتٌ

ولكِ عيونٌ ساحرةْ
تحوي أحاديثَ السَّحَرْ
تروي معالمَ قصّتي
وتداوي آلامَ السّفرْ
متى تدركينَ حبيبتي
يا مبتدايا والخبرْ
أنّي وليلي ولهفتي
ظمآى لأنغامِ القمرْ

أشرَقَت

يا شمسَ عمرٍ أشرقتْ
فجرًا وعشقًا وانتصارْ
كم كنتُ قبلكِ ضائِعًا
يقسو عليّ الانتظارْ
آملُ ولا أحصدُ سوى
أصداءَ عشقٍ وانتحارْ
دنيايَ أغواها المدى
وبقايا أحلامٍ صغارْ
لكنّ شمسَكِ أشرقتْ
قُبُلًا وأضواءً نَهارْ
لو كنتُ أعلمُ أنّني
يومًا سيغمرني الهوى
ويُحيلُ قلبي الانبهارْ
ما كنتُ أدنو بهمّتي
ما كان يُسكِرني الفرارْ
يا شمسَ عمرٍ أشرقتْ

فجرًا وعشقًا وانتصارْ

قد كنتُ قبلكِ عابثًا

لا أبغي مأويً أو قرارْ

أنتِ المُنى ما أروعكْ

نعمَ الحبيبةُ والدّيارْ

ارحلي

ارحلي

لا ترحلي

لَوِّحي بمزيدِ طعنٍ في الحنايا .. عَجِّلي

هيا افعلي

ما عاد رُمحُكِ والخناجرُ ترتوي بمزيدِ جرحٍ آفلِ

و آهاتُ ليلِ هواكِ نفدَ رصيدُها

وتهاوى إعصارُ المفاتنِ أسفلي

وتداعَى إخلاصُ الطّيورِ لوكرِها

ما عاد عصفورُ البراءةِ يخجلِ

يا مَن نعتّكِ ذاتَ يومٍ " يا أنا "

أوَ تذكرينَ عهودَ حبٍ زائلِ

وجراحَ قلبٍ قد تخضّبَ بالرّدَى

أنْعِم به من غدرِ قلبٍ قاتلِ

أواه يا دنيا الخداعِ وزيْفِهَا

أواه يا وطنًا ظننتُكَ منزلي

هيا ارحلي

ما عاد وعدُكِ بالبعادِ يُخيفني

ما عاد زيْفُكِ قادرًا أن ينطلي

بريقُ عينيكَ

يا آسرًا ببريقِ عينكَ مهجتي
وحنايا قلبي بنارِ شوقكَ مُحْرَقةْ
يا فاتنًا لكياني إنّي لعاشقٌ
أضحت خطاه ببحرِ حبّكِ غارقةْ
يا ظالمًا ببهاءِ حسنكَ إنّني
أنفاسُ عمري بحصنِ قلبك عالقةْ
إن كان حبّكِ قد تَمَلّك دنيتي
أحلامُ قلبي بغزو قلبكَ واثقةْ

صرخةٌ

يا مَن بوصلِ هواك قد أغريتني

وظننتُ أنّي بدفءِ وصلكَ أقربُ

أوليس يدري هواكِ قلبًا هائمًا

تلهو به ووعودُ وصلكَ تلعبُ

إن كان شدو الطّيرِ أغرى بسجنهِ

فافْكُك قيودَ السّحرِ علّه يهربُ

ليلى والمجنونُ

أوهمتُ قلبي بأنّ ليلى تحبّني
وبأنّ ذاكَ الومضَ يُشعلُ نارًا
وبأنّ أرضي وقد أُبيحت للرّدى
تُمسي حدائقَ بهجةٍ وثمارًا
ويعودُ نهري ترتوي أمنيتي
منه حياةَ العشقِ والإبحارا
ويعودُ طيري بالرّبيعِ يهزني
ويحالُ ليلي ساطعًا نَوّارا
ليلاه يا ليلى هوايا ومهجتي
يا نبضَ قلبٍ عاندَ الأخطارا
لا أنتِ ليلى ولا الدّيارُ ديارُكِ
وهواكِ فُلْكٌ لا تجوبُ بحارا
ما عاد غزوكِ يستبيحُ مدينتي
وبريقُ سحركِ بالرّحيلِ أشارَ

أعلمتُها

أعلمتُها جهرًا بأنّي أحبُّها

وبأنّ قلبي في هواها يحارُ

ذابت حنينًا مِنْ تَوَرّدِ خدِّها

خجلاً وبشرى يحتويها نهارُ

يا روحَ قلبي وانسجامي ومهجتي

أعياني موجٌ هائجٌ غدَّارُ

أنَّى السّبيلُ إليكِ يا أرضَ المُنى

وحنايا قلبي تُكْتَوى وتغارُ

لا تخجلي

لا تخجلِي
إنْ طاحَ عنكِ قناعُ زيْفٍ وانفلت
لا تخجلِي
أمواجُ بَحْرِكِ يا معالمَ خيبتي
مِلْحُ أجاجٌ وإن تمادت واحتوت
لا تخجلِي
أمثالُ نبتكِ كالحاتٌ كالرّدى
وحنايا قلبي شامختٌ لم تمت
لا تخجلِي
يا شؤمَ حبّي وانكساري وسوأتِي
راياتُ نصرِكِ قد توارت وانحنت

عيناكِ

عيناكِ بحرٌ من الآلامِ والحَزَنِ
فاقت جبالَ الصّمتِ أنينًا حين تَضْطَربُ
أنىَّ السّبيلُ إلى دنياكِ يا أملي
وحنينُ شوقي إليكِ كما البركانِ يلتهبُ

وقالتْ أُحِبُّكَ

وقالتْ أُحِبُّكَ

أجابت عيوني أخافُ الوداعْ

أخافُ التّلاقي أخافُ التّجافي وطهرًا يُباع

أخافُك حبيبي تعاني افتراقًا

ويُفنِي هوانا لهيبُ الضّياعْ

وقالت حبيبي

هوانا حصينٌ وسدٌ منيعٌ بدونِ انصداعْ

فكن أنتَ دربي وكن أنتَ درعي بكلِّ اقتناعْ

وقالت حبيبي

ألا تدري شوقي ؟

أما يكفي سيلي شديدَ اندفاع ؟

وثِقْ أنّي دومًا

رفيقُ الليالي وبأسُ الجبالِ وحصنُ الدّفاعْ

فأقبِل حبيبي وَدَعْ عنك رَوْعًا

ولا تخشَ جُرْحًا ووهمَ الخداعْ

ومِنْ فرطِ حبّي تداعت جراحي

ومِنْ لهفِ قلبي توارى الصّراع

وقالت أحِبّكَ

ألا تدرينَ

ألا تدرينَ يا قمرُ
بأنّ لقاءنا قدرُ
وأنّي أسيرُ عينيكِ
وشوقي إليكِ ينهمرُ
فكيف خلاصي يا عمري
وفيكِ البدءُ والخبرُ

جنونُ إمرأةٍ

قالت أُحِبُّكَ ويكأنّي لم أكنْ
يومًا عَرفتُ الحبَّ منه أعاني
فهواكَ نارٌ تحتوي حريتي
ولهيبُ قلبكَ يستبيحُ كياني
رَحلتْ وقالت لا طريقَ يضمّنا
وافْكُكْ قيودَكَ؛ حَرُّها أدماني
عادت وقالت إنّني ممسوسةٌ
بحنينِ عشقِ القيد والسّجانِ
أنّى قبِلتَ البعدَ يا مَنْ تَدّعي
زورًا غرامي ؟ مَنْ تراه الجاني ؟

وجهُ القمرِ

وتلك العيونُ كوجهِ القمرْ

تداوي جراحي وجَوْرَ البشرْ

ألا تحتويني وتروي حنيني

ونارَ اشتياقي ودمعَ السَحرْ

ثورةٌ

أقسمتُ ألّا أنحني لدلالِها
وأثورُ حتى يحتويني الثّارُ
وأنالُ منها حتى تُمحى ضلالتي
ويُذيبُ حتمًا حبَّنا الإعصارُ
ضَحَكَتْ فجادتْ للدّنا بضيائِها
وتمايلات طربًا فاعتلاني نهارُ
كيف السّبيلُ إليكِ عنكِ حبيبتي
والقلبُ مسحورٌ بكِ ويحارُ

في عينيك عنواني

وكيف تتوه أحلامي ؟

وأين تضيعُ شطآني ؟

وتلك جنانُ ملهمتي

وأفراحي وأشجاني

وإذا ما ضعتَ في دربي ؟

دروبُ هواكِ تهديني

وفجرُ سماكِ يرعاني

وفاءٌ أنتِ أعشقه

وصدقٌ ما له ثانِ

وأنتِ الحلمُ يا عمري

وفي عينيك عنواني

حلمٌ يبغي الاكتمالَ

منذُ أيامِ الطّفولةْ
وفؤادي يشتكي
يبتغي عينًا حنونةْ
في هواها يحتمي
غيرَ أنّي لا أزال
أرتوي عينَ السؤالْ
ودموعي لا تجفّ
تبتغي قلبًا يشفّ
عن حنانٍ ودلالْ
واحتواءٍ لا يُزالْ
والأيادي تنطوي
خشيةَ البعدِ القويّ
هل أنا قد أثمتْ
هذا حلمي كم رغبت
أن أراه بالحياةْ
يرتوي منها النّجاةْ

وأمانيّ الهوى

يُرتجَي فيها الرِّوى

حين هذا قد أكونْ

قاتلًا فيَّ السّكونْ

أن أراني بالسّهولةْ

عائدًا نحو الطّفولةْ

أمّاه

أمّاه إنّ اليومَ ذكري رحيلُكِ
والفقدُ صار معينَ النّبضِ يُشعلُ ذاتي
أمّاه إنّ الدّربَ مَعلمُ غربتي
يقسو ويُدمي ملمحي وحياتي
أمّاه أرنو إليكِ أين سبيلُك ؟
أشتاقُ دومًا قادمًا بِرُفاتي
أجثو وأدنو إليكِ أُشبعُ لهفتي
ويزولُ عنّي الفقدُ في لقياكِ

حدادٌ

سأقنعُ قلبي بموتِ الحيارى
وتنعَى وفائي آلافُ الحُفرْ
بمحرابِ روحي وكهفِ الصّورْ
وأحيا حدادًا لذكرى الثّكالى
وأنحرُ دوني بقايا الأثرْ
وإن طال ليلي فتَعْساً لسُهدي
وتعْسًا لنهرٍ علاه الكَدرْ
وإن جاء يومٌ تلاقينا فيه
فلن يحتويه سجلُ العُمُرْ
فما عاد طيفُكِ خلقًا فريدًا
فبين البرايا شبيهٌ كُثُرْ

عنودُ

ضحكت عنودُ بملءِ فيها تعجّبًا
أبمثلِ قولكِ هل تراني أعاني
أبمثلِ قولِك أستحيلُ ضحيةً
يقسو ويرحمُ في هواها الجاني
أرفقْ بنفسكَ لا تحطُّ رحالَها
فالصّخرُ قلبي والنّوى عنواني
أتظنُّ أنّي قد أجودُ بلوعتي
وأصيرُ يومًا في رحى السّجانِ
ضحكت عيوني وانتشت بجوابِها
حقٌ علىّ أن أراكِ تعاني
حقٌ علىّ أن تصيحي تودّدًا
قد ضاع عمري في عنادٍ فاني
وأراكِ يومًا بالخطا مدفوعةً
ويأنّ قلبُك راجيًا غفراني

تقولين إنّي في الهوى مجروحةٌ
وعنادي وهمٌ ما أراه أماني

الحقُ أبلجُ ألعنودُ استسلمي
دربي صعيبٌ والهوى ميداني

ولسوف يقسو نبضُ قلبي ضاحكًا
هذي العنودُ وقد حواها كياني

سمعت أخيرًا نبضَ قلبٍ عاشقٍ
أدماه قيدُ العند والهجرانِ

ولسوف أرحمُ ما أراني قاسيًا
فالعندُ كفرٌ قد محاه إيماني

فدعيني أنقشْ في هواكِ معالمي
فجرًا وعمرًا ما له من ثانِ

ودعيني أبحر راسمًا أقصوصتي
فالشِّعرُ عشقي في سمّو معاني

هذي حياتُكِ فارفقي بأنينها
ودعيها ترسو في حمى شطآني

دعيني

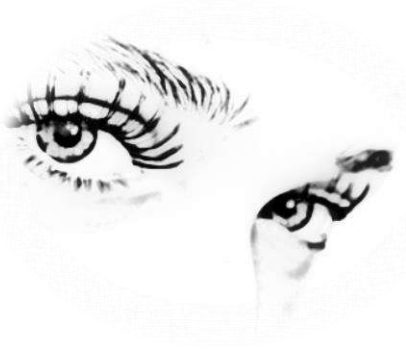

دعيني أُدَاوَى بتلك العيونِ

يناجيني فيها حنينُ الوطنْ

دعيني أغامرُ نحو النّجومِ

لأنهلَ منها دواءَ الشّجنْ

دعيني وكوني رفيقَ الليالي

وضدَ المحالِ ودفءَ السّكنْ

دعيني أحطّمُ سوءَ الظّنونِ

وحقداً دفيناً يهابُ العلنْ

دعيني وكوني صديقًا شفيقًا

وحبًّا رقيقًا رواه الزّمنْ

دعيني فأنتِ حروفي وصمتي

ملاذي وحصني بوقت المحنْ

رؤياكِ

رؤياكَ جنّةُ عيني

وصوتُكَ كما الأنغامِ سحري وإدماني

وحبُّكَ كما الطوفانِ يأسرني ويمحو كلَّ أحزاني

وقربُكَ لمْلَمَ بعد شتاتِ البعدِ أوطاني

فكيف تغيبُ عن خَلْدي

وأنتَ ملكتَ دنيايَ ونلتَ جميعَ شطآني

وحرفُكَ كالمنى نقشٌ يُجمِّلُ كلَّ أركاني

غرباءٌ

غرباءٌ لما نتلاقى
بصعوبةِ نَفَسٍ يتصاعدْ
من جوفِ البشريّ الرّاحلْ
أملًا في هواءٍ يتلوثْ
كيما تتلاحقُ في الذّكرى
أجزاءُ الصّورة المنسيةْ
بخبايا نفسٍ بشريةْ
أعياها إحساسٌ يجأرْ
من ثقلِ الحلمِ الورديّ
آهٍ ...هل تلمحُ يا رفيقي
بأعالي الصّورة المنسيةْ
قد ظهر شعارٌ يتوارى
خجلًا من حرفٍ دمويةْ
سعيًا للثّقةِ المفقودةْ
في عمقِ النّفسِ البشريةْ
خَرِباتٌ أنتِ ولا أدري

من أين ملكتِ الحريةْ

آهٍ يا عمري أو تدري

غرباءٌ حتى في الصورةْ

وملامحُ نبضكِ يتلاشى

أفقده هواكِ الماهيةْ

غرباءٌ حتى في الصّورة

وهمُ الحريةِ المسلوبةِ

بعضُ الخطواتِ المسلوبةْ
من بابِ الحريةْ الموصَدْ
أركلها بقدمي ... يرقبني
قضبانُ السّجنِ المنسيّ
استلُّ سيوفي عاليةً
يُرهبُها أنّي ممسوسٌ
بحروفِ السّرِ الأزليةْ
لكن ...
ما يلبثُ أنْ يُوقنْ
أنّي مسلوبُ الحريةْ
تتعالى ضحِكاتٌ سُودٌ
يكسوها نصرٌ مهزومٌ
أدمته فتاتٌ بشريةْ
يبصقني ...
لا ترجع أبدًا
أتراجعُ ... أحرقُ ورقاتي

يسكرني وهمُ الحريةْ
يتباعدُ خطوي عن أسري
أملًا في ملاذِ الحريةْ
تتلذّذُ ضحكاتُ الحارسْ
أحلامُكَ بِدعٌ وقتيةْ
إمّا أنْ تعشقَ ألفاظًا
أو ترقبُ ثمنَ الحريةْ
يا ليتُكَ ما كنتَ طبيبي
تسلبني نبضَ الأمنية
خطواتي قد صارت دهرًا
أخرسها وهمُ السّادية
ربّاه قد ضلَّ بعيري
قد سلكت دربًا وهمية
والخطوةُ حكيٌّ منسية
والحارسُ ما زال يقهقه
ويلوحُ بصمتٍ يتباهى
ما زالت عندي الحرية

وأزعمُ

وأزعمُ حين ألقاها
فلا عشقٌ يؤجّجني
ولا ضعفٌ ولا خَوَرُ
ولا تسكرني ًعيناها
ولا إحساسي ينبهرُ
حنانيكِ مُعذّبَتي
أما يكفيكِ إذعاني
وحصني حين ينهمرُ

لمْلم شتاتَك

وإذا تناثر مَن تظنُّ ولاءَه

وتبعثرَ الظّنُ الجميلُ بصدقِه

وسْط الصّحاري والرّمالِ الحارقةْ

لملم شتاتَك وانتفض نحو العلا

وكفى بنفسك نحو مجدك صاحبًا

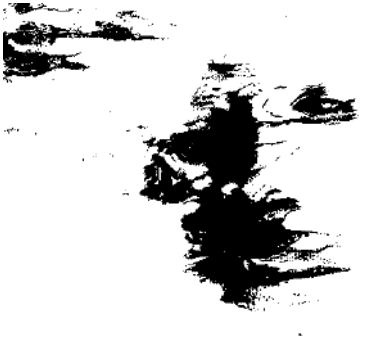

معاناةُ مُحبٍّ

شوقٌ يؤجّجني
وإليكِ يأسرني
ويفيضُ إحساسًا
ما عُدْتُ أقواه
البعدُ يقتلني
والقربُ يُسكرُني
وهواكِ يا عمري
أعياني لقياهُ

خيرُ البرية

بسمِ الذي في البدءِ كان عطاؤه

فيضًا كثيفًا للبرايا ضياءُ

ربٌّ رحيمٌ لا يجفُّ مدادُه

وكذا رءوفٌ بالذين أساءوا

ثمّ الصّلاةُ على النّبي محمدٍ

زكّاه ربي للبرايا دواءُ

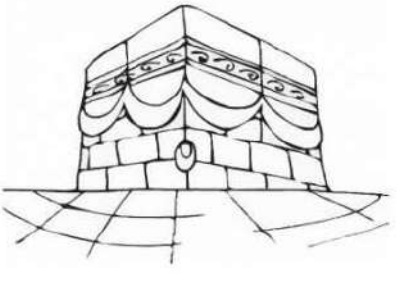

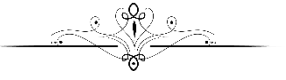

ثانيًا : قصائدُ العامّية

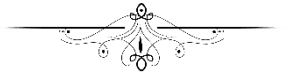

أنتَ العذاب

يا كلَّ حاجة وضدها

عذاب حياتي وسعدها

إن قلت أبعد عن صدودك عن جراحك والضنى

أرجع أسير لحضن شوقك والمنى

أهرب لفين وأنتِ الحنين وأنتِ الأماني الممكنة

وأنتِ العذاب وأنتِ العناد وأنتِ الهنا

وأنتِ حكايتي وقصتي

وفين أروح ما أنتِ أنا

يا عين

يا عيني ليه البكا

محبوسة عنّه الدّموع

لا القلب حضنه الدّفا

ولا شافها يوم الشّموع

وشوقي داب ما ارتوي

محبوس ما بين الضّلوع

مكتوب عليه الآسى

منقوش في كفه الخضوع

لا منّه طال ما اكتوى

وحرام عليه الرجوع

لأنّك

لأنّك حبيبي وروحي ونصيبي

لأنّي بحبّك وعاشق هواك

لأنّك حياتي وشوقي ونجاتي

لأنّي عشقتك مكمّل معاك

حبيبي يا كلّي

يا شمسي وضلي

هاعيش عمري جنبك ، منايا رضاك

قالت لي بحبّك

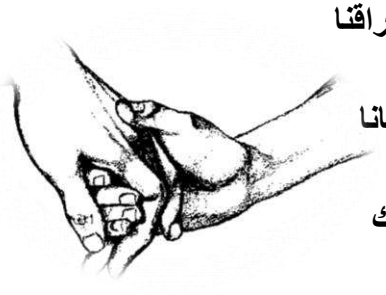

قالت لي بحبّك يا عمري وحياتي
يا حلم السنين
بحبّك وأحبّك يا نبضي وضميري
وحضني الأمين
بكت منّي عيني؛ بخاف من فراقنا
نعيش محرومين
بخاف من لقاءنا بخاف من بكانا
وقلبي الحزين
قالت لي بحبّك وقلبي اللي حبّك
شرعية ودين
وديمًا بحبّك وديمًا في حضنك
أعيش عمري جنبك بشوق الليالي وشوقي وحبّي
إليك مشتاقين
تعالى حبيبي تعالى وخدني
نعيش عمر غالي ونروي الحنين
ومن كتر حبّي نسيتني جراحي
ومن كتر شوقي نسيت الأنين

بحلم

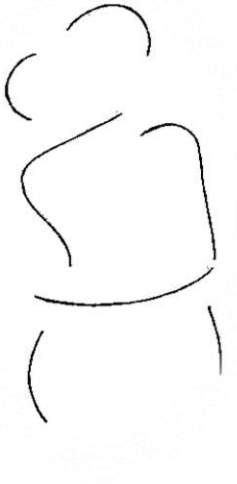

بحلم بيوم تضمّيني
وإيديا تحضنها إيديك
بحلم هواكِ يحميني
وعنيا تتلاقى في عنيك
بحلم وشوقي دوّبني
والبعد جنّني عليك
بحلم ونفسي ريحالك
دايبة وملهوفة عليك

أول ما شوفتك

أول ما شوفتك حبّيتك

وحلمت يوم يجمعنا بيت

وحضنت قلبك وغرامك

ودعيت تكون ليا يا ريت

وعشقت صمتك وكلامك

وحنان عنيك منّه ارتوت

وحياتي كلّها قدامك

ما أنت أنا وبيك اكتفيت

وعدتك

وعدتك بجيلك وأكون لك دليلك

تنوّر حياتي وتحضن سكاتي

يا أجمل رفيق

يا حلمي وجنوني يا فرحي وكوني

تعالي وكوني حبيبة وصديق

يا قمر الليالي يا عمري تعالي

أضمّك في حضني ونرسم طريق

طريقنا وحياتنا وتضحك آهاتنا

ويرجع ما فاتنا حر وطليق

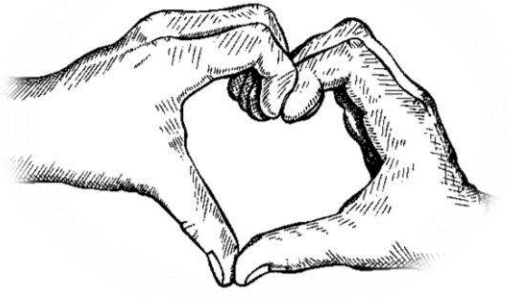

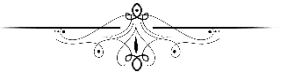

ثالثًا : مسرحياتٌ من فصلٍ واحدٍ

مسرحية "طريقُ المَجْدِ"

المشهدُ الأول:

المكانُ : الطّريقُ .

حديثٌ بين اثنين عن طريقِ المَجْدِ وتحقيقِ الذّاتِ .

عبدُ الغنّي : إنّي رأيتُ المجدَ في تلك الدّنا بجمعِ مالٍ يرتقي نحو العلا .

عبدُ القويّ : لكنّى غيرُكَ ؛ إنّ مجدي يا فتى في سلطةٍ وعزةٍ دومًا تُرى.

عبدُ الغنّي : ما نفعُ بأسٍ إلّا بمالٍ طائلٍ وسواه دربٌ لا شكَّ عندي بزائلِ .

عبدُ القوّي: الحقُّ يعلو ؛ لا تجادل يا فتى ـ واعمل لبأسٍ لا أراه بمائلِ .

عبدُ الغنّي : سأظلُّ أبحثُ عن حقيقةِ فرحتي بجمعِ مالٍ تدنو فيه سعادتي ، وتراني دومًا في السّماءِ لامعًا وحروفُ اسمي كالشّموسِ السّاطعةِ.

عبدُ القويّ: بل إنّي دومًا للعلا في سلطتي وقوتي ، أحكمُ وأبطشُ بالخلائقِ كلّها ويهابني ويخافني مَنْ يدنو نحو فخامتي .

يدخلُ عبدُ العليم : الرّأيُ عندي في لقاءٍ عاجلٍ بالشّيخ يشفي فينا عيَ سؤالِنا .

عبدُ الغنيّ : أتراه يحسمُ أمرنَا ؟

عبدُ القويّ: ويزيلُ عنّا خلافنَا !

عبدُ العليم : هو الحكيمُ النّاصحُ بالحقِّ دومًا يصدحُ ، وما أراه بمانعٍ علمًا عزيزًا ينفعِ .

الثّلاثةُ بصوتٍ واحدٍ .

هيّا بنا هيّا بنا .

<u>المشهدُ الثّاني</u>

المكانُ : بيتُ الحكيم .

الثّلاثةُ في صوتٍ واحدٍ:

يا سيدي يا سيدي إنّي بحثتُ بدنيتي .

عن دربْ يعلو بهمتي .

أعياني بحثي وإنّني .

أرجو جوابًا ، دلّني .

الحكيمُ : انظر صغيري بدربِك .

جِدْ أنتَ ذاك بعينِك.

إنّ الصّوابَ طريقُنا .

ما الحقُّ يعلو بدونه .

عبدُ الغنيّ : المالُ يا سيدي!

إنّي أراه يقودني .

نحو التّحكمِ بالورى .

والكلُّ يسعى لجمعه .

أوليس حقًّا ما ترى؟

الحكيم : المالُ المالُ المالُ !

بئسَ الحطامُ تجمعُ وهواكَ فيه يرتعُ .

يا فتى اسمع لقولِ الشّاعرِ .

الشّاعرُ :

وَالمالُ إن لَم تَذَّخرهُ مُحَصَّنًا ، بِالعِلمِ كانَ نِهايَةَ الإملاقِ .

الحكيم :

المالُ يفتنُ يا فتى .

فاحذر هلاكًا ماحقًا .

عبد القويّ : فالحقُّ إنّي رأيته أنّي أكونُ بِسَطوتي .

ويخافُ غيري قوتي .

الحكيمُ :

يا قوتي يا سَطوتي !

وتراك تظلمُ غيرَك وتظلُّ تغفو بِسُكْرِكَ .

يا فتى اسمع لقول حبيبِنا .

الشاعر:

إن شئتم أنبأتكم عن الإمارةِ وما هي ؛ أولُها ملامةٌ

وثانيها ندامةٌ وثالثُها عذابٌ يوم القيامةِ إلّا مَن عدل .

عبدُ العليم : فالعلمُ يعلو سيدي .

ويكونُ خيرَ المرتَقى .

أوليسَ نبعًا يُستقى ؟

الحكيم :

علمٌ بدونِ قيادةٍ فالموتُ يدنو محققًا .

وهواك يرسمُ خطوَك دربًا صعيبًا ساحقًا .

واسمع لقولِ الشّاعرِ.

الشّاعرُ:

وَالعِلمُ إن لَـم تَكتَنِفـهُ شَمَائِـلٌ ، تُعليهِ كـانَ مَطِيَّـةَ الإخفـاقِ .

الثّلاثة في صوتٍ واحدٍ .

يا سيدي يا سيدي .

الحقَّ أبغي ، دُلّني .

الحكيمُ :

اسمع صغيري فإنّني .

أُهديك خيرَ نصيحتي .

لا خيرَ أنتَ تريده إلّا بخلقٍ يرفعُ .

وتراك أنتَ بدربه .

للشّرِّ دومًا تدفعُ .

واسمع لقولِ الشّاعر.

الشّاعرُ:

إنّي لَتُطرِبُني الخِلالُ كَريمَةً

طَرَبَ الغَريبِ بِأَوبَةٍ وَتَلاقِ

وَتَهُزُّني ذِكرى المُروءَةِ وَالنَدى

بَينَ الشَمائِلِ هِزَّةَ المُشتاقِ

فَإِذا رُزِقتَ خَليقَةً مَحمودَةً

فَقَدِ اِصطَفاكَ مُقَسِّمُ الأَرزاقِ

فَالنّاسُ هَذا حَظُّهُ مالٌ وَذا

عِلمٌ وَذاكَ مَكارِمُ الأَخلاقِ

وَالمالُ إِن لَم تَدَّخِرهُ مُحَصَّناً

بِالعِلمِ كانَ نِهايَةَ الإِملاقِ

وَالعِلمُ إِن لَم تَكتَنِفهُ شَمائِلٌ

تُعليهِ كـانَ مَطِيَّـةَ الإخفـاقِ

لا تَحسَبَنَّ العِلمَ يَنفَـعُ وَحـدَهُ

ما لَـم يُتَـوَّج رَبُّـهُ بِخَـلاقِ .

الحكيمُ .

هذي الحقيقةُ الزّاهرة .

لسواها دومًا قاهرة .

فلتُقبِلوا ولتقبَلوا خُلقًا قويمًا رائقًا .

الثلاثة في صوتٍ واحدٍ وقد اجتمعوا على الشّيخِ :

حقٌ كلامُك سيدي .

حقٌ كلامُك سيدي.

تمّت.

مؤامرةٌ على عاشقٍ

المشهدُ الأولُ .

أوراقٌ مبعثرةٌ وحجرةٌ مضاءةٌ إضاءةً خافتةً تحتوي شابًا يبدو على ملامحه أعراضُ حزنٍ شديدٍ ، العاشقُ الحزينُ يحدّثُ نفسَه بنبراتٍ باكيةٍ :

- حبيبتي قد طال ليلُ الانتظار، قد سئمتُ الانتظار.

نبعَ أحلامي ومهجتي ، أين أنتِ وسْط آلافٍ من وجوهٍ تحتضرُ ونفوسٍ قد تعرّت من ثيابِ الطّهرِ أملًا في عُلبةٍ من ألوانِ الكآبةِ والخلاعةِ والمجون ؟

حبيبتي أنتِ سبيلي ودربي المضيءُ ، أفلا تحنّي على نفسي الحزينةِ وتحميني من قسوةِ المشاعرِ الزّائفةِ وتلاوين الشّقاءِ ؟ ما زال قلبي ينتظرُ ، يبكي ويدعو بالحنين .

تخفتُ الاضواءُ شيئًا فشيئًا مصاحبةً لتخافتِ صوتِ العاشقِ الحزينِ .

المشهدُ الثّاني .

الديكورُ نفسُه غيرَ أنّ الأضواءَ أكثرُ توهجًا ، العاشقُ الحزينُ يحدّثُ نفسَه متألمًا :

- حبيبتي ، ها هم وكّلوا أنفسَهم عن ذاتي وإرادتي وألقوا ببطاقةِ التّرشيحِ على إحدى بناتِ حواءَ الفاتناتِ ! يا تُرى ماذا تحملُ لنا تلك البطاقةُ من مزايا أو صفاتٍ ؟

يفتحُ ورقةً ويقرأُ ما فيها :

- امرأةٌ جميلةٌ ذاتُ فتنةٍ وبهاءٍ يكسوها ثوبٌ من رزانةٍ وحياءٍ ، تحملُ صفاتِ امرأةٍ عصريةٍ تلتقطُ عصا الطّاعة وحبَّ الآخرةِ بكلتا يديها ، غرسٌ طاهرٌ يبغي النّماء .

يقفزُ من سكونه مفزوعًا :

- اللعنةً ! أين شرطُ الإجازة ؟ أين ضماناتُ التّفاني وإحساسُ الرّواء ؟

أنىّ لهم تلك الحريةُ في بيعِ قلبي ووأدِ ينبوعِ الصفاء ؟ حبيبتي ، عذرًا إليكِ إن تهاونتُ في حقِّ هوانا المُتوّجِ في أحشائنا ، ولتسمحي للعينِ أن تلتقطَ تلك الفتاةَ القابعةَ

خلف أسوارِ الرّزانةِ والهدوءِ ، فلعلّها تحملُ من هواكِ بعضَ أحلامِ التّلاقي والوعاء.

المشهدُ الثّالثُ .

العاشقُ الحزينُ في حالةٍ من الكآبةِ والذّهولِ :

- حبيبتي ، مليكتي وحنايا نبضي والمصيرْ.

أعياني بحثي والمسيرْ.

أدماني دمعٌ لا يخور.

ها قد رجعت حبيبتي أشقى بأغلالِ الهوى.

والحرفُ فيّ توحدَ وتباعدَ .

قد تمخّضَ عن أمورْ.

كالبرقِ يعلو الضّوءُ منه.

فارتجفنا وانتشينا واعتلى فينا السّرورْ.

قد رجوتُ الغيثَ فيه .

نرتوي منه النّجاةْ .

تُرتَجى فيه الحياةْ .

ثمّ لم يمضِ طويلًا .

من ليالٍ أو دهورْ .

وانطفى حُلمُ الطّفولةِ .

وامتطى شمسَ الرّحيلْ .

حبيبتي؛ أنفاسَ عمري والمُنى .

ها أنا ذاتُ الكليلْ .

خاشعًا ضائعًا يختنقُ منّي الهوى .

يختفي نبعي الأسيرْ.

واستحال الشوقُ شوكًا .

يقتفي خطوي العليلْ .

عذرًا يا نورَ حقيقتي .

عذرًا يا طهرًا أرتجي .

وأسيرتي وطفولتي .

والمهدُ أنتِ والحياةْ .

فلتغفري ولتصفحي .

قد عدتُ توًا من دحورْ .

أدنو وأُبدي رجاوتي .

أفضضُ آثارَ القبورْ .

فلتقبلي منّي دموعي والأنينْ .

ولتمسحي عنّي إساءاتِ الهوى .
ولينتظر قلبي رضَاكَ والحنينْ .
إظلامٌ .

المشهدُ الرّابعُ .

العاشقُ الحزينُ يجلسُ على شاطئِ البحرِ يسعى جاهدًا للمّ تشتّتِ أفكارِه .

- نفسي العاشقةُ ، أيُّ حلمٍ أرى أم كيف هذا الذي تدّعيه أحلامي ، حبيبتي منذُ التقينا ما عرفتك إلّا في ثنايا الحلمِ ونسماتُ الخيالِ ، ما رأيتكِ يومًا ترتدين ثيابَ المادةِ وتصاويرَ البشرِ ، فاذا أنتِ لا تأتين إلّا في أحشاءِ مَنْ رشّحوها لشغلِ أيامي الخواءِ .
حبيبتي البشرية ! أين كنتِ حبيبتي منذُ إدراكي حياتي وأنتِ نبضٌ في دمي ؟
بحثتُ عن قلبك الإعصارِ ومشاعرك المحيطِ طويلًا طويلًا ، وكم زرتُ فيكِ الصّورَ وقبّلتُ العيونَ ، حتى جاء الحبُّ يبكي دمعًا قد تراقصَ من سرورٍ

يا شمسَ عمرٍ أشرقتْ .

فجرًا وعشقًا وانتصارْ .

كم كنتُ قبلكِ ضائعًا .

يقسو عليّ الانتظارْ .

آمل ولا أحصدُ سوى .

أصداءَ عشقٍ وانتحارْ .

دنيايا أغواها المدى .

وبقايا أحلامٍ صغارْ .

لكنّ شمسَكِ أشرقت .

قُبُلًا وأضواءً نهارْ .

لو كنتُ أعلمُ أنّني .

يومًا سيغمرني الهوى .

ويحيلُ قلبي الانبهارْ .

ما كنتُ أدنو بهمّتي .

ما كان يسكرني الفرارْ .

يا شمسَ عمرٍ أشرقت .

فجرًا وعشقًا وانتصارْ .

قد كنتُ قبلكِ عابثًا .

لا أبغي ماويً أو قرارْ .

أنتِ المُنى ما أروعك .

نعمَ الحبيبةُ والديارْ .

تمّت

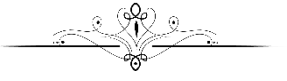

نظارتي

مسرحيةٌ من فصلٍ واحدٍ .

المشهدُ الأولُ والأخيرُ

أضواءٌ خافتةٌ، أناسٌ يجلسون على مقاعدَ متنافرةٍ ، كلٌ في اتجاهٍ ، كلٌ يتحدّثُ عن نفسِه بصوتٍ مسموعٍ وكأنّهم يعرضون وجهة نظرهم في الحياة

- **عبدُ النّورِ : ما جدوى شمسٍ في السّماءِ ساطعةْ ؟**

وظلامُ كوني في الحنايا منتشرْ .

دومًا أعاني حرَّها وهجيرَها .

لا خيرَ في شمسٍ تموتُ وتحتضرْ .

عبدُ البصير : وأنا مللتُ اللونَ أعيتني الدّنا.

إنّي رأيتُ سوادَ اللونِ أجملَ ما بها.

لا خيرَ في لونٍ سوى ما أعشقُ .

عبدُ السّميع : وأنا مللتُ السّمعَ أعياني الصّدى .

وصراخَ قومٍ فاقدي الأفهامِ .

الصّمتُ خيرٌ لا أراني زاهداً .

عن عشق صمتٍ سائرًا قُدّامي .

الثّلاثةُ في صوتٍ واحدٍ متداخلٍ :

حقًّا مللتُ أمورًا لا جدوى لها .

صوتٌ بغيضٌ والسّماءُ مُلَونة .

بالموتِ والإحراقِ والكدرِ .

يدخل المسرحَ رجلٌ ذو حركاتٍ عشوائيةٍ يُربكُ بها الجالسين:

- **عبد الحكيم : وأنا مللتُ العقلَ لا جدوى له.**

أكرِم بجسمٍ ذي عقولٍ واهية .

- **عبدُ البصير : حقًّا ما جدوى الشّمسِ ما جدوى الضّياء؟**

ولمَ تعدّدُ هذه الألوان ؟

نحنُ بخيرٍ ما حيينا بفكرنا .

هل نبغي أمرًا ليس بالإمكانِ ؟

تتخافتُ عنهم الأضّواءُ رويدًا رويدًا ، وينجلي الضّوءُ عن بشريّ منهمكٍ في عمله وحساباته ، من كثرة انهماكه وتبعثرِ منظره لا يظهرُ من الوهلة الأولى أرجلٌ هو أم امرأة؟

- **ناصحٌ أمينٌ : زعموا حديثًا قد عجبتُ لسردِه .**

حمقى كسالى في هواهم ضُيّعوا .

زعموا هواهُم ضوءَ حُلمٍ ساطعٍ .

عاشوا حيارى ما لهم من نافعِ .

هم عندي حمقى لا دواءَ لغيهم .

العقلُ زَينٌ يحمي من هذيانِ .

سأظلُّ عمري حارسًا لعقيدتي .

والموتُ يمحو مَن يهدُّ كياني .

تتخافت الأضواءُ وتتداخلُ الأصواتُ .

- حقًّا هذي الأمورُ لا جدوى لها .

وسِواىَ حمقى في دُنا الإنسانِ .

أدركتُ كوني في ضيا نظارتى .

كيف الحياةُ إن هجرتُ مكاني .

إظلامُ

لقاءٌ

المشهدُ الأولُ

المكان : كورنيش الإسكندرية ، محطة الرّمل .

الزّمان : صيف ؟200 .

يجلسُ شابٌ وسط زحامِ النّاسِ ما بين شرودِ فكرٍ وترقّبٍ قلوقٍ ، يحدّثُ نفسّه :

- **أو هكذا حبيبتي يكونُ الانتظارُ ؟ تتركين حبيبَك يعاني ما بين قلقٍ وانتحارٍ !**

تمرُّ الدّقائقُ ثكلي محملةً بهمومِ هَرِمٍ يفارقُ الحياةَ ، يتحفّزُ الشّابُ ، تظهرُ من بعيدٍ امرأةٌ في عقدها الثّالث ، يحيطها ارتباكٌ تامٌ .

- **ما الذي أخرّكِ إلى حدِّ الجنون ؟ تعاقبين مَن أحبّك ؟ تعلمين ضيقَ الوقتِ وملاحقةِ السّاعات .**
- **عذرًا .**
- **هيّا نجلسُ بعيدًا عن أعين المارة .**

يسيران بخطىً مرتجفةٍ وأشواقٍ متلاحقةٍ تخافُ أشواكَ الفراقِ ، يجلسان في مكانٍ آمنٍ عن الرّقباءِ والمتطفلين

بجوارِ شاطئِ الإسكندرية العتيقِ .

- حبيبتي ، تأخرتِ كثيرًا ، فصرتُ أسيرًا للقلقِ ورياحِ الخوفِ المريرةِ .
- عذرًا سيدي .
- أوليس في معجمك كلمةٌ أنسبَ من تلك ؟
- كيف استعددتَ لسفرك ؟
- اشتقتُ إليكِ حبيبتي .
- هل اشتريتَ ما تحتاجه في سفرك الطّويلِ؟
- آلمني الشّوقُ فلا سبيلَ إلّا إليكِ مليكتي .
- متي تقلعُ طائرتُك ؟
- قبحًا للشّيطان ! أتحدثُ إليكِ عن عذابي في فراقكِ وشوقي للقاكِ وأنتِ تعبثين !
- فكّرتُ كثيرًا في علاقتنا وحبّنا ، نحن نلعبُ بالنّيرانِ حبيبي ، أجبني بربك لماذا تحبّني ؟
- سلي نفسك ، ما الذي يدفعُ مثلي على وشكِ مغادرةِ وطنه الذي يعشقُه أن يقطعَ كلَّ تلك المسافاتِ للقاكِ ؟ يتركُ خلفه مّن هم في حاجته ابتغاءَ ساعةٍ في قربك !

يبدأ قلقُها في الزّوال شيئًا فشيئًا .

- حبيبي ، أخافُ أن أخوضَ غمارَ الحبِّ من جديدٍ ، أخافُ أن تكونَ كمَنْ كان قبلك تغرسُ خنجرَك بقلبي الحزين .
- لستُ كغيري إن كان قلبُك يخافني فلترحلي .
- لا أحبُّ تلك اللهجةَ اللعينةَ .
- كيف أثبتُ لكِ صدقَ حبّي ومشاعري وأنتِ تشكين في كلِّ شيءٍ !

تقبضُ علي يده بكلتا يديها ، وتحتضنها بقسوةٍ :

- أحبّكَ .
- وأنا لا أستطيعُ الحياةَ بدونك حبيبتي .
- لماذا تحبّني ؟
- أجيبي أنتِ لمَ تشرقُ الشّمسُ كلَّ صباحٍ ؟ سلي البحرَ لِمَ يثورُ بمياهه ويندفعُ ليقّبلَ الشاطئَ الحزينَ ؟ سلي الزّهرَ لَمَ ينبتُ فتبتهجَ الحياةُ ؟ لا أعرفُ غيرَ أنّي أحبّكِ .
- أخافُ الفراقَ حبيبي .
- عزائي الوحيدُ أنّي لن أكونَ أنا المفارقُ .
- يجبُ أن ترحلَ الآن ، فالوقتُ داهمنا وأمامك سفرٌ طويلٌ في طريقِ عودتِك .
- هل مللتِ حبيبتي ؟

- وكيف أمّلُ النّورَ الذي أضاء لي طريقي وأحيا مواتَ قلبي البئيسِ ؟

- كم أدعو اللهَ أن يجمعنا علي خيرٍ !

يصحبها خارجَ المكانِ ، وقد تعلّقت بيده بكلتا يديها كأنّما طفلٌ صغيرٌ وجد أمَّه بعد ضياعه .

المشهدُ الثّاني .

بعد يومين ...

المكان : مطارُ الأسكندرية ، الزّمانُ : الثّانية والنّصف عصرًا .

ينتظرها بقلقٍ بالغٍ ، يعتصره القلقُ ويقتله الشّوقُ إليها .

الوقت يمرُّ ولمّا تأتي بعد ، يُحدِّثُ نفسَه :

- حبيبتي ، تعلمين أنّي لن أعودَ قبل عام ! هل هنتُ عليكِ لتلك الدّرجة ! هل أستحقُّ مِن قلبك المحيطِ ومشاعركِ الفيّاضةِ التي غمرت الدّنيا بأسرها هذا البخلَ الرّهيبَ ؟ كيف أفارقُ بلادي دونما رؤيةِ أجملِ ما فيها ؟

تأتي من بعيدٍ بخطىً مضطربةٍ ودقاتٍ متسارعةٍ ، بِلومٍ وعتابٍ وثورةٍ داخليةٍ متفجرةٍ :

- مثلما الطيفُ تأتينَ وتختفينَ بلا إنذارٍ سابقٍ !
- أراكَ شاردَ الذّهنِ ضائعَ الذّات !
- لا شيءَ سوى أنّي لن أركِ قريبًا .
- فكّرتُ كثيرًا في عدم قدومي إليكَ ، فإنّي أبغضُ الفراقَ كبغضي للخائنين .
- ما تصوّرتُ رحيلي دونما رؤيتكِ يا نورَ عيني .

تنهمرُ دموعُها ويرتجفُ جسدُها .

- أرجوكِ توقفي ،لا تثقلي علىّ حبيبتي ، فإنّي عائدٌ لا محالةَ ، وكم من فراقٍ أعقبه لقاءٌ لا يعرف للبعاد سبيلًا.
- أخافُ أن تتغيرَ في بعادي وتلهيك الدّنيا عنّي وتتشيّأ ، فلا عدتُ أعرفُ ملامحَ قلبك الطّاهرةِ ونسماتِ مشاعرك المجنونة .
- ما عرفتيني حتى الآن حبيبتي ؟

ينتابها القلقُ والتّوترُ الشّديدُ واللهفةُ لمعانقةِ حبيبها.

- أرجوك لا تغادر الآن .
- تماسكي ، فالنّاسُ يراقبون حركاتِنا ، فلهفتُنا وشوقُنا يفضحنا حبيبتي .

- انتظر قليلاً أرجوك ... إذن تحرك ، سأغادرُ المكانَ دونما التفاتةٍ إليك .

- وأنا كذلك حبيبتي ... إلى اللقاء يا مَنْ أحيت مواتَ قلبي.

دموعٌ وصمتٌ يسيطرٌ على لحظاتِ الوداع ، كلاهما يطأطئُ رأسَه ويستسلمُ للواقعِ المريرِ .

تمّت

هو وهي

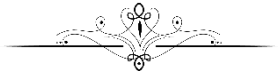

في ثورةٍ حادةٍ وعارمةٍ ومزاجٍ كموجِ البحرِ الهائجِ :

- هل ما زلتَ تذكرني ، وتهيجُ أحاسيسُك إذا مررتُ بخاطركَ ؟

ضحكاتٌ متفجرةٌ يصحبها دمعٌ متشوقٌ للاندفاع .

- ومتي نسيتك حتي يتسنّى لنفسي أن تتذكّرَ هواكِ ؟

يبلغُ الغيظُ أوجَه .

- تضحكُ منّي ! ... أجبني متي وأين كان أولُ لقاءٍ ؟
- تختبرين نفسَك أم تتهمين مشاعري؟
- أجب ؟
- ومَنْ ينسي أحداثَ سبتمبر؟
- تسخرُ منّي ! وما علاقُتنا بأحداثِ الحاديِ عشرَ من سبتمبر؟
- علاقةٌ جَدُّ وثيقةٍ ، لقاؤنا حبيبتي كان يومَ السّادسِ من سبتمبر ولمَ شبهته بتلك الحادثةِ المريرة؟
- لأنّ لقاءنا كان أثرُه بالغًا مثلَ الحاديِ عشرَ .

- بمرارةٍ وغيظٍ على وشكِ الانفجار :
- لا أفهم .
- حبيبتي ... هَوّني على نفسك ، لقاؤنا غيّرَ خريطةَ عالمي الخاص ، لقاؤنا حبيبتي عدّلَ موازينَ القوي في ذاتي المتصارعة ، لقاؤنا حبيبتي وَحّدَ القوي وجعلَ عالمي ما بين مؤيدٍ لك تأييدًا مطلقًا وهم حزبُ الصّقورِ وبين حزبٍ مخذولٍ مهزومٍ يتوارى خلفَ خيبته الأبدية ؛ دعواتٌ خافتةٌ لدحرِ طوفانِ حبّكِ وعواصفِ مشاعركِ المحيط .
- تسخرُ منّي وتستهينُ بمشاعري؟
- مَنْ فينا ملهمتي ؟ وقد سلّمتك دَ فّةَ حياتي ومقاليدَ قلبي وحنايا نفسي العاشقة !

بنشوةِ المنتصرِ :

- أشكُّ فيك أيّها المحتالُ الماكرُ .

بلهفةِ محبٍّ وطمأنينةِ أمٍّ تحتضنُ طفلَها بعد غيابٍ :

- وليكن ، لكنّي أعلمُ نفسي وأثقُ في حديثِها .

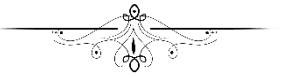

رابعًا: المقالاتُ والقصصُ القصيرةُ

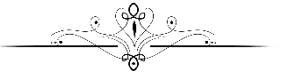

أحلامٌ مبعثرةٌ على شاطئِ الحرمان

جاءه طلبُ صداقةٍ في فضاءِ عوالمِ التّواصلِ الافتراضيةِ الزّرقاءِ ، وكعادته الحذرةِ في تعاملهِ مع تلك الصّداقاتِ الافتراضيةِ تصفّحَ حسابَ صاحبَ الطّلبِ لينظرَ هل يصلحُ وفقاً لمعاييره التي ارتضاها لصداقاته الافتراضيةِ أم يضربُ الذّكرَ عنه صفحًا ويُلقي الطلبَ دروبَ النّسيان؟ غيرَ أنّ المعلوماتِ الشّحيحةَ لم تنبئْ إلّا بتوقعاتٍ عليلةٍ أقواها أنّ صاحبةَ الطّلبِ ربّما كانت زميلةَ الدّراسةِ الجامعيةِ أو زميلةَ عملٍ يومًا ما .

وعلى غيرِ عادتهِ قبل الصّداقةَ فضولاً أن يصلَ إلى صاحبةِ الطّلبِ، واستسلم للسّيدِ انتظارٍ لعلّه يحملُ في طياته معالمَ الجوابِ ، لم تمرْ ساعاتٌ طويلةٌ حتى تواصلت هي عبرَ الكتابةِ بحذرِ الأريبِ الذي يُجيدُ الكرَّ والفرَّ حفاظًا على مساحةٍ للتّراجعِ إن لزم الأمرُ الرّحيلَ ، زميلةُ دراسةٍ ، وضحيةُ حياءٍ منعها من فضِّ صراعِ حبٍّ أدماه نيرانُ شوقٍ وقضبانُ الواقعِ المرير!

ما كان هو أسعدُ حالًا من ضحيةِ هواها ؛ فقد منعه

الخوفُ والحياءُ أن يبادرَ بخطواته المرتعشةِ ليسبرَ غورَ مشاعرها ويضعَ نقاطَ إعجابه على حروفِ لهيبِ هواها المستعرِ خوفًا وطمعًا في تبادلِ أدلةِ الاعتراف .

مرت سنواتُ الدّراسةِ ، وكلٌ آثرَ الصّمتَ الحقيرَ وارتضى البلاهةَ واللامبالاةَ دثارًا على ألّا يُعرّي مشاعرَه في ظلامِ ليلِ التّردِدِ ، فلا يدري أيكونُ صحوه على فجرِ التّلاقي أم بساحاتِ الصّدودِ والتّحسرِ يلقيه المصيرُ؟ تَحرّرتْ أخيرًا من قيدها وباحت عن أتونِ هواها المستعرِ ، وراحت تقصُّ حنينَ عشقٍ شابت من دونه السنون حتى تخطّى عشقُها عشرين عامًا ما بين حسرةِ هواها المكلومِ في حبيبِ العمرِ وسخريةِ الأيامِ أن تلتقي به في دنيا أشباهِ البشرِ السّحيق ، ما بين تبادلِ اللومِ على التّراخي والتّخاذلِ وأخذِ زمامِ المبادرةِ قديمًا وبين لهفةِ عاشقيْن أدماهما حنينُ الحبِّ وقسوةُ السّنين .

قالت :

- حبيبي لا تدري حالي لمّا ألقت بي الأيامُ رغم تباعدها وقسوتها في صفحتك البهيةِ بعوالمِ التّواصلِ الزّرقاءِ وما أن رأيتُ صورتَكَ حتى بكيتَ فرحًا وصراخًا أقبّلها وأروي بها عطشَ الحنين .

تاه في خِضّمِ الحيْرة ِواللهفةِ وبشاعةِ الواقعِ الذي لا يسأمُ أن يُخرِجَ لسانَه الحاقدَ ليسخرَ منهما ويروي أرضَ البعادِ ويتوسعَ في مستعمراتِ الفراق ، لم يصمد طويلاً أمامَ طوفانِ هواها وفيضِ عشقٍ ما عاد يقبلُ إملاءاتِ البعدِ البغيض ،غمرته بحنينِها وحروفِها العطشى للحظةِ اللقاء.

ما كان يظنُّ يومًا في دنيا البشر مَنْ يحوى كلَّ هذا الشّوقِ رغمَ قساوةِ أيامِ البعدِ ومرورِالسنين ولكن ..عاد الواقعُ يطلُّ بوجهه العابسِ ويفرضُ إملاءاته ، فلا هو كما كان وحيدًا ولا هي حرةٌ من قيود ِالمسؤوليةِ وصرامةِ القوانين .

وقع صريعًا بين حبّه وواجبه ، فإمّا يلوّثُ حبَّه بمتعةِ لحظاتٍ عابراتٍ تسقيه ندمًا لا ينتهي أو أنّه يعاودُ طعنَها ويسربلُ هواه جمودُ التّظاهرِ بالهجرِ والصّدودِ .

بكت ثّم بكت حتى جفّت مآقي الدّمعِ وتمنّت لو لم تلقه يومًا ، فحبٌ بأمل ٍمبتورِ الجناحيْن خيرٌ من خيبة ِ حُلمٍ على أعتابِ الحسرة ِوالنّدمِ اللعين ، أمّا هو فقد آثر الصّمتَ وارتضى اختيارَه حفاظًا على طهارةِ حبٍّ كُتِبَ عليه وعاءُ الجرحِ وقناعُ السّكوتِ .

سوقُ واقف العتيق

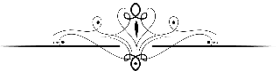

المكانُ : الدوحة ، الزّمانُ : ؟200

زار صديقًا له يقطنُ الدوحةَ منذُ سنواتٍ ، وتناولا إفطارهما بعد صلاةِ المغربِ ثمّ أخذا يتجاذبانِ الحديثَ عن مصرَ والأهلِ والذّكرياتِ الطّيبةِ ، طلب من صديقه أن يصحبه لمشاهدةِ المدينةِ وخاصةٌ سوقَ واقفٍ الذي أشار عليه به صديقٌ قطريٌ يعرفه من محادثات الانترنت ، نزلا الى شوارعِ المدينةِ وانطلقا حيث أشار الصديقُ ، سوقٌ على نسقِ خانَ الخليليّ بمصرَ إلى حدٍ بعيدٍ ؛ معالمُ قديمةٌ حديثةٌ تلهثُ نحو إيحاءِ القديمِ ، المكانُ يستلهمُ الماضي العتيقَ ويعجُّ بالسّياحِ والعربِ ، محلاتُ ملابس وأزياءُ تراثيةٌ ، محالُ عطورٍ وطيورٌ وأسماكُ زينةٍ ، معارضُ للخطِّ العربيّ وشرطةٌ في زيّ العصرِ البعيدِ، مقاهي تعجُّ بالسّياحِ ودخانِ الشّيشةِ ينبعثُ بالمكانِ ، رجالٌ ونساءٌ يدخنون وتدخنّ الشّيشةَ سواءً بسواء ، تشعرُ وكأنّك بحيّ الحسين في مصر العتيقة ، صار الصديقانِ يتجولانِ في المكانِ وصديقه يُقّدمُ له النصحيةَ تلو النصحية ؛ افعل ، لا تفعل تجنّب كذا واحترس من

كذا ، وهو ما بين ابتساماتٍ عريضةٍ وتوجُسٍ من أمورٍ غماميةِ المرايا ، ثمّ إذا به يتوه عن صاحبه الى عالمِ الدّهشةِ والانبهارِ؛ عينانِ ساحرتانِ مِنْ خلفِ بُرقعٍ خليجيٍّ على وشكِ الغروبِ ، يتماسكُ أو يدّعي تماسكًا، إنّهما عينانِ خليجيتانِ تضيئانِ مِنْ خلف ستارهما فيرتفعُ على آثارهما وتيرةُ قلبه المتجمّدِ خلف نصائحِ صديقه الصدوق ، عينانِ كالمغناطيسِ يجذبانه بلا هوادةَ ولا ورقاتٍ خضراءَ على شجرةِ الرّحمةِ وأغصانِ الحنين؛ يتتبعُ حركاتها ، قدماه بلا نورِ عقلٍ تلاحقاها في ردهاتِ سوقِ واقفٍ الضّيقة، شعرتْ به خلفها بقلبٍ يأنّ وجوارحَ تلهثُ مِنْ عطشِ السنين، يفتقدها فجأة، فَقَدَ عقلَه وتلاشت ملامحُ إحساسهِ بالآخرين، يبحثُ عنها في محلاتِ بيعِ العباءات ، يخاطرُ بنفسه، ينسي كلَّ حرفٍ نطقَ به صديقه الشفوق ، فجأةً ، يجدها أمامه وجهًا لوجهٍ، يرتبكُ يخجلُ مِنْ نفسه ، يشعرُ أنّه ما بين يقظةِ الحلمِ ورحيلِ الحياة .

تنظرُ إليه ، تضحكُ عيناها، ثمّ تختفي بين زحامِ الأجسادِ وقسوةِ الفراق ، تخونه جوارحه ويثبتُ في مكانه يراقبُ خطوَها النّاعمَ وخنجرَها الذي غَرَسَ معالمَه بلا رحيلٍ مُرتجي ولا شفاءٍ منتظرٍ بين ردهاتِ واقفٍ العتيق .

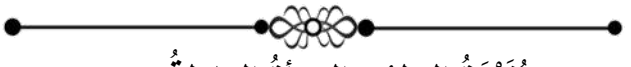

عُنَيْزَةُ الحلمُ "المرأةُ الكاملةُ "

عُنَيْزَةَ :

آلمني الشّوقُ فلا سبيلَ إليكِ ... كم أنتِ في الوجدانِ منتشرةٌ ! لا أنتِ ملموسةٌ تراكِ العينُ فيسكرني الأملُ ولا أنتِ تُسمعيني همسَك الحالمَ ، فلا تقتلني الظّنونُ ، حروفي لا شكَّ قد أعجزتها مراوغتُك، وكم أعياها المسيرُ رغمَ أنّ العقلَ لا يقبلك إلّا في ثنايا الحلمِ ونسماتِ الخيالِ إلّا أنّني ما زلتُ أحلمُ لعلّنا يومًا نلتقي .

عُنَيْزَةَ :

يا مَنْ هَرِمتِ وقد هواك القلبُ عمرًا ؛ في البدءِ نورٌ من حُلُمٍ وفي آخر الأسفارِ ثقلٌ من ألمٍ .

يا مَنْ هواك القلبُ دهرًا ارحلي ، قد كان وعدُك باللقاءِ مُقَتّلي ؛ والحلمُ نبضٌ أبيتُ يومًا أن أراه يرعوي .

يا عُنَيْزَةَ ، ظَننتُ فيك الوعدَ أرضًا لا شكَ أنّا داخلاها ،غَيْرَ أنّي بعدما ضاعَ الأملُ قد صاح فيَّ ذو القروحِ ساخرًا ، نجمُ العُنَيْزَةِ قد كان قبلك في يدي ، نجمُ العُنَيْزَةِ لا بمثلك يرتوي .

عُنَيْزَة :

لقد شابَ القلبُ ووهنتْ عزيمةٌ الرّحيلِ.

عُنَيْزَة : بحثتُ عن قلبك الإعصارِ ومشاعرِك المحيطِ طويلًا طويلًا ، وكم زرتُ فيك الصّورَ وقَبَّلتُ العيونَ حاملًا معي في روحي ونفسي صورتَك الحقيقةَ غيرَ أنّي يا منايا وترياقَ هوايا قد سئمتُ التّرحالَ والبحثَ في خبايا الصّورِ وأسرارِ النّفوسِ .

فأنا وإن كان حبُّكِ يدفعني ويأمرني للبحثِ عنه واحتضانهِ للأبدِ إلّا أنّني أراكِ أغلى من أنْ أعْرِضَكِ على نَخّاساتِ القلوبِ وبائعاتِ الهوى العَفِن .

عُنَيْزَةَ:

مِنْ طولِ بحثي وانتظاري واحتراقي في هواكِ المُخْتَفِي والمنتشى بعذابي في بحثي عنكِ ، ظننتُ أنّك يا عُنَيْزَةَ خيالٌ مريضٌ لا يقبلُ دواءَ الحقيقةِ ونورَ القلوبِ ، يا هذي المرأةُ الخفاءُ اظهري واحسمي الأمرَ معي وإلّا فإن تأخرَ وصولُك فسأذوبُ في الخفاءِ ولنتساوَ في الضّياعِ وحسرةِ الأملِ .

يومياتُ معلّمٍ في الأريافِ " 1 "

استيقظَ كعادته مبكرًا كما نشأ في بيئته التي لا تعرفُ للخمولِ دربًا ولا للكسلِ مِنْ نصيبٍ ، استيقظ على مضضٍ ، فاليومُ هو الأولُ له في عملِه الجديدِ ، فقد تسلّمَ بالأمسِ مهنتَه التي تعلّمَ من أجلها خلال سِنّي دراستِه الجامعيةِ والتي أُعدّ خلالها كي يصيرَ معلمًا للغةِ الضّادِ التي عشقها متأخرًا بفضلِ معلمه الفقيهِ في علومها ودروبها العتيقةِ ، كان في انتظارِه في موقفِ السياراتِ بعضُ زملاءِ عملِه القدامى بتلك المدرسةِ والمحدثين بالنسبة له ، قد بدت عليهم رتابةُ الحياةِ وتعرّجاتُ الكفاحِ في دروبِ الدّنيا الأليمةِ.

انطلقتْ السّيارةُ نحو وجهتِهم البعيدةِ والتي تقعُ في مدينةِ ساحليةِ بين حدودِ محافظتين من محافظاتِ المحروسةِ.

كم هو أليمٌ على نفسه تباعدُ عمله عن مقرّ سكنه ، فقد فارقَ صَخَبَ الحياةِ الجامعيةِ وأُلفَةَ الصَّحْبِ وزحمةَ المدنيةِ التي نشأ فيها .

ما بينَ سخطٍ وتأفّفٍ مْنِ واقعِه الجديدِ وفراقٍ لحريةِ الحركةِ وهواجسَ التّقيدِ بروتينِ عملٍ يقتلُ ، والتزامٍ بساعاتٍ كئيبةٍ هناكَ

بعيدًا خلفَ مئاتِ الآلافِ من أشجارِ النّخيلِ وبساتينَ الثّمارِ جلسَ يتأمّلُ الأخرينَ مُتهكمًا مِنْ نفسه التي لا تهدأُ ولا تستقرُّ في عالمِه الحالمِ بالكلماتِ وسحرِ القصيدِ ، يتهكّمُ مِنْ واقعٍ لا يأملُ أن يجدَ فيه مِنْ مُلهمةٍ تُحرّكُ فيه حرارةَ الحرفِ ووحيِ الانطلاقِ .

يبدو أنّه كُتِبَ عليه أن يئدَ كلماتِه ويدفنَ عوالمَه الحالمةَ في رتابةِ عملٍ وكآبةِ أناسٍ صاروا تروسًا صدئةً في آلةِ العيشِ والتّدافعِ نحوَ إشباعِ أسفلِ هرمِ الحاجاتِ البشريةِ ، فلا حديثَ يدورُ بينهم إلّا عن تكسّبِ مالٍ أو إشباعِ نهمِ بطنٍ أو عطشٍ لإزالةِ ورقةِ توتٍ في حلالٍ ما عاد يستطيبه لتعاهدِ السّنواتِ عليه ، أو لحرامٍ يتطلّعُ إليه.

بين تلك السّخافاتِ وتوقّفِ حسّ المشاعرِ وإرهاصاتِ الكلماتِ لمحَ ضوءًا خافتًا بين الحشودِ ، أيُصدّقُ عينيه ويزيلُ عنها صدأَ التحجّرِ وغمامِ الكآبةِ والجمود ؟ هل تلكَ العينانِ أملٌ لوحيٍ غادرَ بلا أملٍ في عَوْدٍ مِنْ جديد ؟ وما بين تلك اللحظاتِ الحائرةِ اختفت تلك الملامحُ وسْطَ زحامِ البشرِ والكتبِ وتدافعِ وصرخاتِ الطّلابِ ودقاتِ الجرسِ الكبيرِ، فقد دقّت السّاعةُ إيذانًا بالرّحيلِ وإشعارًا بانتهاءِ يومٍ دراسيٍّ راحلٍ يُسلّمُ مفاتحَه ليومٍ غيرَه لا يختلفُ كثيرًا عنه في عناوينِ الحياةِ .

جلسَ في سيارةِ العودةِ غائبًا عن صخْبِه وعن زحمةِ النّاسِ وتكدّسهِم كما لو كانوا بضائعَ ُرصّت متكتلةً داخلَ سيارةٍ لحفظِ الأطعمةِ والشّراب ! جلسَ متحيرًا متعكرَ الصّفوِ والمزاجِ ؛ هل يعثرُ على ملهمةٍ جديدةٍ لدفعِه للكتابةِ من جديدٍ في تلك البلادِ الغائرةِ خلفَ آلافِ آلافِ أشجارِ النّخيلِ !

لعلها الأيامُ تحملُ في طياتها جوابًا شافيًا لتلك التّساؤلاتِ الحائرةِ في الصّدور .

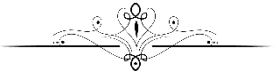

يومياتُ معلّمٍ في الأريافِ " 2 "

جلس شاردًا في غرفةِ استراحةِ المعلّمينَ وقتَ الحصصِ الشّاغرةِ لديه ، شاردَ الذّهنِ تكادُ أقدامُه لا تجدُ أرضًا تُقلّها ، يفكّرُ كيفَ يصارِحُها بإعجابِه بها وانبهارِه بجمالِ عيونِها الأخّاذِ وسحرِها الذي لا يقاومُ ، يخطّطُ ويبتكرُ حلولًا آمنةً للوصولِ إلى قلبِها ، مذبذبًا بين ثقتِه في قدراتِه وخبراتِه السّابقةِ في دروبِ العشقِ وأسرارِه وبين وقْعِ الصّدمةِ المميتةِ إن هي كسرت سفينتَه على شاطئِها مجهولِ الهويةِ له ، وبينما هو مستغرقٌ في شرودِه يفيقُ على وقعِ دخولِها مع زميلتِها التي تعالت صيحاتُها وانهمرت منها الدّموعُ كالمطرِ الدّفاقِ على وجناتِها .

تساءلَ عن سببِ تلك الدّموعِ وذاك الانهيارِ المريعِ ، قالت ذاتُ الدّمعِ الباكي :

- إنّ عمّي ووليّ أمري يفرضُ عليّ قبولَ خاطبٍ لا أهواه ولا أتخيله يومًا ما رفيقًا لدربي ودنيتي .

قالت ذاتُ العيونِ السّاحرةِ في غمزٍ وهمزٍ مريبٍ :

- لا ضيرَ ما دامَ يوفّرُ لك العيشَ الكريمَ ورغدَه .

صرخت ذاتُ الدّموعِ البواكي قائلةً :

- أريدُ طيرًا ينتمي لسربي ، نحلّقُ سويًا في عالمٍ من الحبِّ والحنانِ ، نتقاربُ في عمرِنا وفهمِنا وثقافاتِنا، نجوعُ يومًا ونشبعُ يومًا ما دمنا سويًا تمتزجُ أرواحُنا ، ولكن دعيني أسألك ؛ هل تقبلين بمثلِه ؟ إن كان حقًا فقد أُحِيلُ العرضَ عليكِ ، فلتهنئي .

قالت ذاتُ العيونِ السّاحرةِ متهكمةً :

- أنا مثلُك ، أنتظرُ طيرًا من فصيلِ مشاعري، نخوضُ غمارَ الغدِ وقد تعانقت منّا الأيادي والرّوحُ مغردةً .

ثم اتجهت بحديثها له ، وقد تحوّلَ كلُّه نحوها إلى أذنٍ تسمعُ وقلبٍ يرتجفُ مِنْ وَقْعِ كلامِها الذي لامَسَ شيئًا يبحثُ له عن مخرجٍ يخفّفُ عنه وَقعَ صراعاتِ نفسِه الهائمةِ وأنفاسِ حناياه العاشقةِ ، قالت له :

- وماذا عنك أستاذَنَا ؟ هل وقعتَ على رفيقةِ حياتِك وقرينةِ أحلامِك القادمة ؟

انتشى طربًا أنْ وَجَدَ الفرصةَ سانحةً ليعبّرَ لها عن مكنوناتِه نحوها ، قال :

- هي حُلُمٌ جميلٌ أعيشه وأتنفسه.

قالت بخبثٍ :

- إذاً لَمّا تصلُ !

بحذرٍ قال لها :

- بل ... ، ولكنّي لَمّا أصارحها بحبّي واحتراقِ مهجتي .

بجرعةٍ مركّزة من سحر عينيها قالت :

- وما يمنعك أن تُصارحَها وتستريحَ من متاعبِك التي لا أرى لها من مبرّرٍ يعوقها ؟

بمرارةٍ تمتزجُ ببارقة أملٍ حذرٍ :

- أخافُ ألّا تكونُ ... ووقتُها لا أدري كيف أعاودُ النّظرَ إليه أو أن تجمعنا ظروفٌ أخرى معًا .

قالت ذاتُ الدّموعِ وهي تحاولُ السيطرةَ على انهيارها :

- ما تلك الجراءةُ البالغةُ؟ ما شئننا بزميلنا وحكايته التي لا تعنينا مِنْ بعيدٍ أو قريبٍ ؟

تابعت صاحبتُنا حديثَها، متجاهلةً كلامَ زميلتِها وكأنّه فراغٌ في فراغٍ ؛ دعني أخففْ عن كاهلك هذا العبءَ الكئيبَ وأعطني اسمَها وهاتفَها أو حتى عنوانَها واعتبرني محاميًا بارعًا يدافعُ عنك حتى الانتصار .

تعجّبَ مما يدورُ حولَه،ولم يستوعبْ تلك المتتابعاتِ المتتالية:

بترددٍ بالغٍ :

- دعيني أفكّرْ في الأمرِ ولربّما غدًا أوافيكِ ببياناتها .

قالت :

- إذًا هذا قبولٌ منك !

قال وقد تملّكَه التّوترُ والاندهاشُ :

- قبلتُ بماذا ؟

ضحكت وإذا بضحكتها تمتزجُ بسحرِ عينيها القاتلة :

- قبلتَ أن أكونَ وكيلَك عندها .

قال متلعثمًا :

- نعم نعم ولكن دعينا لغدٍ أرتبْ أوراقي المتبعثرةَ ، فغدٌ لناظره لقريبٌ .

بثقةٍ يمتزجُ معها لؤمٌ لا تخطئه عينٌ ثاقبةٌ :

- وهو كذلك .

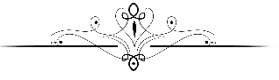

يوميات ُمعلّمٍ في الأرياف " 3 "

نزل من سيارةِ المواصلاتِ كعادته الصّباحيةِ في طريقه إلى مدرستِه القابعةِعلى أطرافِ محافظته ِ في أقصى أقصى حدودِها حيثُ مصيفٌ شهيرٌ اقتطعته محافظةٌ أخرى منها كي يصبحَ لها بحرٌ ومصيفٌ داخلَ حدودها الإدارية ، والعجيبُ في الأمرِ أن أبقوا لمحافظتِه على الشّطرِ الذي يضمُّ السّكانَ الأصليين من تلك القريةِ السّياحيةِ ، فصارَ النّاسُ يعيشون بين محافظتين ،وهذا من عجائبِ

الأمور ِفي بلادِ المحروسة ، فشطرٌ يسكنون فيه ويضمُّ الخدماتِ الصّحيةَ والتّعليميةً ، وشطرٌ يشتغلون فيه في أشهرِ الصّيفِ حيثُ السّياحةُ الدّاخليةُ وخدمةُ روادِ الشّواطئِ وما يرتبطُ بها من خدماتٍ أخرى ، والشيءُ ولوازمِه .

نزل على أطرافِ القريةِ من السّيارةِ كي يستكملَ طريقَه لمدرسته التي تبعدُ عن موقفِ السّياراتِ قُرابةَ الكيلو مترين أو يزيدُ ، والتي يجبُ على مَنْ يعملُ بتلك المدرسةِ من خارجِ سكانِ القريةِ أن يقطعها مرتين على الأقلِ كلَّ يومٍ مشيًا على الأقدام .

وأولُ معالمِ القريةِ التي تقابله مقابرُها والتي وقفت منتصبةً تذكّرك بالموتِ أولِ منازلَ الأخرةِ مرورًا بأعشاشِ صانعي الأقفاصِ والكراسيّ وغيرِها مِنْ الأعمالِ اليدويةِ التي تعتمدُ على سعفِ النّخيلِ المستمدِ من أشجارِ النّخيلِ الغزيرةِ بتلك القرية. فإذا انتهي مِنْ تلك الأعشاشِ كان أمامَه خيارانِ لا ثالثَ لهما ؛ إمّا أن يسيرَ مع طريقٍ مُعبّدٍ يطولُ به ، أو يخترقُ الأزقّةَ والشّوارعَ العشوائيةَ التي تتناثرُ وسْطَ بيوتِ الصّيادين والفلاحين وحظائرِ الخيولِ والحميرِ والأنعامِ وكلابِ الحراسة. فإذا انتهى منها ظهرَ مقرُ عملهِ مِنْ بعيدٍ مُحاطًا بأشجارِ النّخيلِ الكثيفةِ ومِنْ خلفها على مددِ البصرِ اللونُ الأزرقُ السّاحرُ للبحرِ ملهمِ الشّعراءِ وملتقي الحائرين .

نزل كعادته على أطرافِ القريةِ فتفاجأ بنزولها من سيارةٍ أخرى قادمةً إلى عملها ، فحاول أن يتجاوزها غيرَ مكترثٍ بمرورِها بجواره ، لكنّه تردّدَ ، ونازعته نفسُه العاشقةُ والتي تصارعت مع اعتباراتِ المكانِ ومخاوفِ الكرامةِ مكانتهِا وعلوهِا ، وما بين هذا وذاك إذا به يُلقي عليها التّحيةَ بصوتٍ ضعيفٍ مترددٍ مع توقعِ عدمِ استجابةٍ منها إيذاناً بمسارعةِ الخطى والاندثارِ بين البيوتِ والحظائرِ وأشجارِ النّخيل .

لكنّها ردّت عليه بصوتٍ عذبٍ رقيقٍ كنسماتِ الهواءِ الحالمةِ. سار بجوارها بصمتِ الرّاحلين عن الدّنا، فبادرته بسؤالها الذي طرحته عليه منذُ أيامٍ تعدت أصابعَ اليدِ الواحدةِ بقليلٍ .

- انتظرتُ منكَ بعضًا من أخبارِها وعنوانِها كي أساعدَك في بلوغِ مُناكَ والقضاءِ على أسبابِ معاناتكِ والشّقاء !

مستجمعاً شجاعتَه وقد تدّربَ في الأيامِ الفائتةِ على مواجهةِ الجمهورِ بأداءِ دورِه الذي يرجو أن يَلقى النّجاحَ .

- حاولتُ في الأيامِ السّابقةِ أن أوفي بوعدي معك لكنّي تردّدتُ كثيرًا خوفًا أن تخفقي في مهمتِك معها .
- وهل جربتني من قبلُ كي تحكمَ مسبقاً وبدون علمٍ على حنكتي وخبرتي بفنونِ الإقناعِ والتّفاوضِ يا فتى !
- ما شككتُ فيكِ لحظةً ، ولكنّي قرّرتُ أن أخوضَ الغمارَ بنفسي وذاتي الحائرة.

بغضبٍ وحنقٍ :

- أنتَ وشأنُك .
- صبرًا أختاه ، فليس هكذا تُورَدُ الموارِدُ ، ولكن أخبريني ، كيف تدّعين فنَ التّفاوضِ براعةً وأنتِ رسبتِ مع أولِ عقباتِ الطريق ؟

بضحكةٍ لا تُعبّرُ عن مكنونِها :

- بلى ، ولكنّك فاجأتني .

وهو يستعينُ بخبراتِ السّنين ومكرِ المخضرمين :

- قابلتها ... وسرتُ أنا وهي معًا ، ترددتُ كثيرًا في مصارحتِها ، ولكنّي خفتُ أن أضيّعها مِن بين يديّ كماءٍ تسرّبَ من أيادٍ حريصةٍ تتلّهفُ كما النّفسُ الظّمأى لمائِها ، قلتُ : أصارحها وأتركُ لها حريةَ اختيارِها ؛ إمّا نعيمًا بحبّها أو شقاءً بهجرها .

- ثُم !

- ثُمَّ اعترفتُ بمحنتي في حبّها وعشقِها وسألتُها ، لو يستحيلُ عذابي وألمي نهرًا يفيضُ بنورِها ودفئِها وحنينِها ، هذي التي في حبّها صارت حياتي ودُنيتي مثلَ صغيرٍ لا حياةَ ولا مصيرَ يظنّه إلّا بدربِ أمّه ، مثلَ أمواجِ البحارِ في شوقها نحو شطآنِ الأمانِ ورملها ، مثلَ أشواقِ النّخيلِ وشجرِها نحو ضياءِ الشّمسِ ودفئِها .

- وماذا كان ردُها ؟

- ها أنا توًا قد أبلغتها .

في غيرِ مفاجأةٍ قالت :

- تقصدني أنا ؟
- إن لم تكوني أنتِ فمن تظّني بربك؟
- هنا تختلفُ الأمورُ والنّتائجُ كلُّها ، فدعني أرتب أمري ثمّ انتظر منّي خلاصةَ قصّتي في أمرِك .
- لا تقولي قصّتك ، بل قصّتُنا معًا .
- لا تتعجل النّتائجَ ، ولا ترجُ مزيدًا من طموحٍ ربّما لا تدركه.

بثباتِ الواثقِ بنصرِه :

- لكِ وقتُك ، فالأمرُ دنيا وحياةٌ نبنيها معًا .
- فلتنتظر .
- ها نحن وصلنا مدرستَنا ، وكأنّما سرنا في حُلُمٍ جميلٍ على أعتابِها قد انتهى .

تبادلا نظراتِ الوداعِ المؤقتِ على أملِ معاودةِ حديثٍ ولقاءٍ يُحي حياةً أو يأذنُ برحيلٍ غيرِ مرغوبٍ به.

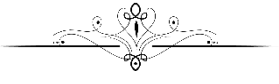

حكاياتٌ طائشةٌ

مشهدُ " 1 "

تقطعُ السّيارةُ طريقَها الطّويلَ مِنْ عمقِ مدينتِه العريقةِ إلى أطرافِها البعيدةِ حيثُ مقرِ عملِه الجديدِ ، تجتازُ السّيارةُ الأجرةُ قرى ومدنًا قرويةً وجسورًا ووجوهًا كادحةً وأطفالًا بريئةً في طريقِها لمعتقلاتِ التّعليمِ المشوّهِ ومجاهلِ الغدِ البئيسِ، يتطلّعُ بالكادِ من نافذةِ سيارةِ الكتلِ البشريةِ والأنفاسِ المكتومةِ والأطرافِ المتباعدةِ عن أصحابِها بفعل انصهارِ الأجسادِ المتلاصقةِ بفعلِ قسوةِ الحياةِ وضيقِ السّبيلِ ومرارةِ لقمةِ العيشِ وصبرِ حملان المهانةِ السّحيقِ ، يلمحُ بالكادِ البلدةَ التي تضمُّ بيتَها ، أو كما قالت، يسرحُ بخاطرِه، يسيطرُ عليه صوتُها الرّخيمُ وهو يهمسُ بأشعارِ "فاروقِ جويدةِ" وهو يبحثُ بين عينيها عن عنوانه السليبِ .

بنظرة عتابٍ مريرٍ :

- تراكَ وقد رضيتَ البعدَ دواءً وحياةً !
- بل أراكِ قد علوتِ موجَ البحرِ حيثُ لا عودٌ ولا نجاةٌ

- بل أراني استمسكُ بأملي في لقاءٍ لا أراكَ كبيرَ حرصٍ في منحه قبلةَ بقاءٍ واحتضانَ أمٍّ ترجو لقاءً لا فراقَ له .

مشهدُ " 2 "

في طريقِه اليوميّ لعملِه في رحلتِه المعتادةِ ترمقه نظراتٌ ويدورُ حوله نسيجٌ من همساتٍ يتخلّلها كلماتٌ حائرةٌ يقطعها على صديقتيها متسائلاً عنها ، ما بين غمزٍ ولمزٍ ومحاولةٍ بئيسةٍ للتلاعبِ بأعصابِه تخبراه أنّها منذٌ خرجت بعدَ زيارتِه التي تكسّرت أمواجُها العطشى على صخرتِه القاسيةِ ما كان منها إلّا أن تركت له مصرَ بمدنها وطرقاتِها وشوارِعها التي جمعتهما يومًا ما قاصدةً إحدى دولِ الخليجِ لعلّ غربتَها تُنسيِها خيبةَ أملِها وصدمتِها في فارسِ أحلامِها أو كما تقول .

مشهدُ " 3 "

عودٌ للماضي " فلاش باك "

ينما هو منهمكٌ في عمله الحِرَفِيّ في أحد أصيافِ دراسته الجامعيةِ يتفاجأُ برسولٍ يخبره على عَجَلٍ بزائرٍ غريبٍ بالبيت ؛ زميلةُ دراسةٍ أو كما تدّعي ، ينتهي سريعًا من بعضِ أعمالِه ، ينطلقُ سريعاً لبيتِه، يتفاجأُ ببعضِ أسرتِه

تستضيفها بترحابٍ ، وقد امتلكت إعجابَهم سريعًا سريعًا بأدواتِها التي لا تضامُ .

مشهدُ " 4 "

عودٌ للماضي " فلاش باك "

غزتْ قلبَه واعتلتْ رايتُها بنشوى النّصرِ والارتقاءِ ، عصفتْ بحناياه فما عادَ يملكُ من مصيرِ هواه إلّا الخضوعَ والإذعانَ وإبرازَ هويةِ الاعترافِ ، قابلها صبيحةِ يومٍ من أيامِ هواه المتعطّشِ ، وغرامهِ المرسومِ على شاشاتِ عينيهِ ونبراتِ صوتهِ التي أعياها الشّوقُ وأضناها التّماسُ السّبيلِ لطرحِ ورقاتِ الاعتراف ، طلب منها الحديثَ عن أمرٍ يلّحُ عليه واصطحبها لركنٍ من أركان الكلّيةِ التي يدرسانِ بها حيثُ تراهما الأعينُ وتخفتُ عنهما الأصواتُ ، بدا عاجزًا عن استجماعِ قواه وإعادةِ سردَ الكلماتِ التي رتّبها مئاتِ المرّاتِ طوالَ ليلهِ الكليمِ ، أعياه خوفُه أن تصدمَه أو تعصفَ به حيثُ اللاعودةُ لمعاني الحياةِ ، صار كطفلٍ صغيرٍ أصاب ذنبًا وقد حبسته أمّه بركنٍ من جنباتِ الاعترافِ ، فلا كلماتٍ تسعفه

ولا حيلاً تُنجّيه من نظراتِ أمّهِ التي تعلمُ كلَ تفاصيلِه وهمساتِه وخلجاتِ الصّدرِ المرتجفِ، فلا مناصَ منها غيرَ كاملِ الاعترافِ ، ومِن ثَمّ عذابُ الانتظارِ وتبعاتُ الإقرارِ.

ظلَّ يستجمعُ كلماتِه ليلحقَ بزمامِ المبادرةِ لعلَّ نفسَه تسكنُ على شواطئِ هواها العصيّ وعينيها التي تفتكُ بكلّ مغامرٍ تراوده نفسُه لمعاني الاقترابِ ، ما عاد أمامه في ظلّ حصارِ عينيها ومهارةِ نبراتِ صوتِها الرّخيمِ غيرَ تسليمِها مفاتيحِ قلبِه واستباحةِ الدّيار، فجأةً تقطعُ عليه لحظةَ اعترافِه متعللةً بموعدِ محاضرةٍ حان وقتُها على وعدٍ باستكمال الحديثِ بعدها.

خفَّتْ وتيرةُ ضرباتِ قلبهِ ومَسَحَ عن جبينِه أنهارَ عرقِهِ المتصببةِ وهي تختفي عنه رويدًا رويدًا كما لو كانت تنسحبُ من جسدِه الحياةُ ، ظلَّ قُرابةَ السّاعتين ينتظرها كي ينفجرَ باعترافِه ، ويرفعُ عن صدرِه آلامَ الشّوقِ ولهيبَ الانتظارِ.

ظهرتْ من بعيدٍ ، فتهلّلت أساريرُه ، وسَعِدَ برؤيتها وهي تدنو من المكانِ الذي سيشهدُ مولدَ حبٍّ ، وينقشُ على جوانبِه نصوصَ اللهفةِ ومعاهدةَ الوفاءِ .

اقتربتْ أكثرَ وأكثرَ وبصحبتها زميلٌ آخرُ وقدَّمَتْه له، فهو

صديقٌ مثلك تعتزُ بمعرفتِه ، كما أنتَ يا صاحبَ المشاعرِ الصادقةِ ومعانيَ الصداقةِ الخالصةِ دونَ انتفاعٍ !

لم ترحمْ ضعفَه ، وألقتْ به مِنْ أعلى قمةِ أملٍ إلى سفحِ الجروحِ الثّكلى وخيباتِ الحُلُمِ الحزينِ .

سرُّ الغرفةِ "13"

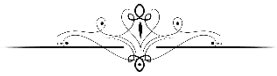

قبلَ الحصارِ الذي ضُرِبَ على دولةِ قطر ضُرِبَ علينا نحن المقيمين بالدّوحةِ حصارًا آخرَ أشدَ إيلامًا تَمثَّلَ في منعِ سياراتنا الخاصةِ من السفرِ برًا عبر الأراضي السّعودية لتأديةِ مناسكِ العمرةِ ، والتي كنّا نقصدها بقلوبِنا وأجسادِنا على الأقلِ مرةً أو مرتين من كلِّ عامٍ ، أمّا عن المرّةِ الأخيرةِ التي اعتمرنا فيها بسيارتنا الخاصةِ ، فتحملُ من التّشويقِ ما لا يمكنُ تجاهلُه بمكانٍ والذي يُعنوَنُ كما يقولون " لا يُنصَحُ به لأصحابِ القلوبِ الضّعيفةِ " ، قُبَيلَ السّفرِ بقليلٍ عاودتني آلامُ أسفلِ الظّهرِ بصورةٍ غيرِ معهودةٍ كادت أن تتسبّبَ في إلغاءِ السّفرِ للعمرةِ لولا حرصي على تحقيقِ رغبةِ صهري في الاعتمارِ مع زوجهِ وأطفاله خاصةً أنّهم لم يسبق لهم الاعتمارُ من قبلُ.

استعنتُ باللهِ وعزمتُ على السّفرِ ،وتحمّلتُ الآلامَ التي عاودتني بسببِ قيادةِ السّيارةِ التي تمتدُ لساعاتٍ طويلةٍ حيثُ تتجاوزُ المسافةَ بين الدوحةِ ومكّةَ 1800 كم ، مرّت العُمرةُ على خيرٍ وتكحّلتْ أعينُنا برؤيةِ بيتِ اللهِ الحرامِ والتّوسلِ له سبحانه عندَ كعبتهِ ومشاعرهِ الحرامِ أن يغفرَ لنا حوبتَنَا ويتجاوزَ عن

خطايانا ، وفي طريقِنا نحو المدينةِ المنّورةِ عرجنا الى مدينةِ جدةَ حيثُ صديقٌ صدوقٌ يعملُ بها ، لم أره منذُ سنواتٍ ، قضينا معه يومًا وليلةً اقتطع فيها من وقته وراحةِ نفسه ليطلعنا على بعضِ معالمِ جدةَ التّرفيهيةِ ، ومحالِها التجارِيةِ ، ثمّ ودّعناه لاستكمالِ رحلتِنا الشّاقةِ لزيارةِ مدينةِ رسولِ الله ﷺ في مسجدِه الشّريفِ وزيارةِ قبرِه وإلقاءِ السّلامِ عليه وعلى صاحبيه الكريمين ﷺ ... ثمّ قرّرنا العودةَ من حيثُ أتينا ، وإذا بصهري يطلبُ أن ننزلَ بإحدى استراحاتِ الطّريقِ لنيلِ قسطٍ من الرّاحةِ لأنّ التّعبَ تمكّنَ منه بمكانٍ ، فما عاد قادرًا على مواصلةِ قيادةِ سيارتهِ خاصةً وأنَّ قيادةَ الليلِ تُسبّبُ له بعضًا من المتاعبِ والتوترِ والقلقِ ، نزلتُ على رغبتِه رغمَ أنّي استمتعُ بالغَ المتعةِ والرّاحةِ في القيادةِ الليليةِ حيثُ الهدوءُ واعتدالُ الطّقسِ الصّحراويّ الذي يستحيلُ جحيمًا في نهارِ شهورِ الصّيفِ بمنطقةِ الخليجِ العربيّ .

قادنا نصيبُنا وحظّنُا ناصعُ البياضِ إلى استراحةٍ بمدينةِ القصيمِ ، وكالعادةِ طلبنا غرفتين منفصلتين ، فقام مسؤولُ الغرفِ الفندقيةِ بتسليمي مفتاحين أحدهما منقوشٌ عليه الرّقمُ " 9 " والآخر محفورٌ عليه الرّقم " 13 " ، فأعطيتُ

صهري مفتاحَ الغرفةِ " 13 " لاختبره ؛ هل يعتقدُ اعتقادَ مَنْ يتشاءمُ من هذا الرّقمِ حيثُ خُرَافةُ فوبيا هذا الرّقم حيثُ يَعتبرُ البعضُ في العالمِ الغربيّ هذا الرّقمَ رقمَ شؤومٍ ، ولذا لا يرغبُ بعضُهم أن يرتبطَ هذا الرّقمَ بأيّ شيءٍ يخصّهم ، فهم يتجنّبون أن يكونَ رقمُ منزلِهم " 13 " ، أو رقمُ غرفتِهم في الفندقِ أو المكانِ الذي يسكنون فيه، ولا يرغبون في تناولِ الطّعامِ على مائدةٍ عليها ثلاثةَ عشرَ شخصًا.

ناولته مفتاحَ الغرفةِ ، ولم يتوقف عندَ الرّقمِ كثيرًا، إمّا لأنّه لا يؤمنُ بهذه الخرافاتِ الحمقاءَ ، أو أنّه نال منه التّعبُ درجةَ الإغماءِ ، وصار كلُّ همّه غرفةً مُغلقةً يرتمي فيها حتى الصَّباحِ ، دخلتُ مع أسرتي الغرفةَ الثّانية ، والتي تضمّ سريرًا كبيرًا وخزانَة ملابسَ وهاتفًا أرضيًا إضافةً إلى حمامٍ مُلحقٍ بالغرفةِ .

سريعًا ألقينا أجسادَنا على باحةِ السّريرِ حيثُ كان موقعي مِنهُ أحَدَ أطرافِه ، وزوجتي بالطّرفِ الثّاني المجاورِ للحمّامِ ، بينما أطفالُنا بمنتصفِ السّريرِ ، أطفأنا إضاءَةَ الغرفةِ وأغمضنا أعينَنا إيذاناً بالخضوعِ لسلطانِ النَّومِ وأحكامِه ، وما هي إلّا دقائقُ وإذا بزوجتي تفزعُ من نومها ، وتصرخُ بحالةٍ

هيستيريةٍ ولا تكاد تَبينُ، وبالكادِ هدّأتُ مِنْ رَوْعِها وفهمتُ منها أنّ هناك أحدًا آخرَ معنا بالغرفةِ ... امرأةٌ تحاولُ السّيطرةَ على روحها وجسدِها والتّخلّصَ منها ، وأنّها مِنْ أولِ دخولنِا الغرفةَ وهي لا تشعرُ بارتياحٍ للمكانِ ، وتَملَّكها خوفٌ غريبٌ وإحساسٌ بمجهولٍ غامضٍ غيرَ مريحٍ ، وأنّها لما دخلتْ الحمّامَ لم ترَ نفسَها في المرآةِ ، بل رأتْ امرأةً غيرَها تبتسمُ ابتسامةً مُرعبةً ، وتقول لها بنظراتها المخيفةِ :

- نعم ، لستِ أنتِ التي تظهرُ في المرآةِ ، أنتِ لي .

وهي تكذّبُ ما رأته وسمعته :

- لعلّه مِن إرهاقِ الطّريقِ وتعبِ السّفرِ .

هَدّأتُ مِنْ رَوْعِها وطلبتُ مِنها أنْ نتبادلَ الأماكنَ ، وأنّها ربَّما مخاوفَ لا أساسَ لها من الصّحةِ بسببِ تعبِها وإرهاقِها أو لقربِ موقعِها مِنْ الحمّامِ ، وفعلًا تبادلنَا الأماكنَ ، في محاولةٍ للاستسلامِ إلى النومِ ، وإذا بي أرى في الظّلامِ شخصًا غيرَ زوجتي يظهرُ مكانَها ويضعُ شيئًا ما يُشبِه الأنبوبَ ؛ طرفُه ب بفمِه ، والطّرفُ الثّاني بفمي ، وإذا به يحاولُ السّيطرةَ به عَلَيَّ وسَحبَ روحي من جسدي ، فأسرعتُ بالاستعاذةِ بالله تعالى وقراءةِ آيةِ الكرسيّ ، فشعرتُ للمرّةِ الأولى في حياتي بالعجزِ

عن النّطقِ وثقلٍ غريبٍ في لساني وتَدَاعَتْ قوايَ وخارات نفسي ولكنّي قاومتُ وقاومتُ حتى خَرَجَتْ كلماتُ آيةِ الكرسيّ بطيئةً وثقيلةً ثِقَلَ الجبالِ ، وكأنّ أنفاسي تَتَحَشْرَجُ مِنْ أضيقِ ثقبِ إبرةٍ عرفها الإنسانُ ، فزِعت زوجتي على هَمْهَمَاتي وحَشْرَجَتي المكتومةِ ، وسارعت بإضاءةِ الغرفةِ ونظرت نحوي في فزعٍ شديدٍ ، وسألتني عمّا أصابني فأجبتُها أنّني بخيرٍ ، غيرَ أنّها ارتجفت وانكمشت في نفسها هلعًا ورعبًا حيثُ كان الصّوتُ الذي سَمِعَته لا يحملُ بصمةَ صوتي ونبراتِه ! سارعتُ بالاتّصالِ بمسؤولي المكانِ ، وطلبتُ منهم مصحفًا ، وعجبتُ أشدَّ العجبِ عندما وجدتُ البابَ يطرَقُ بعَد أقلِ مِنْ عشرِ ثوانٍ حيثُ كان موظفُ الاستقبالِ يحملُ نسخةً من القرانِ الكريمِ ، وزاد تعجّبي حينما وجدّتُ أنّ الذي جاء به ليس الموظفَ الذي استقبلنا قبلَ ساعةٍ ، فاندفعتُ فيها متسائلًا :

- أين الرجلُ الذي قابلنا قبلَ ساعةٍ ؟

أجَابَ بهدوءٍ :

- انتهتْ فترةُ عملِه ، وأنا الذي أعملُ على خدمتِكم حتى الصّباحِ .

قررتُ أن أجلسَ في أحدِ أركانِ الغرفةِ ، وأُرَتِّلَ القرآنَ خاصةً سورةَ البقرةِ حتى الصّباحِ وأنظرَ كيفَ سيصيرُ حالةُ هؤلاءِ المتطفّلينَ من العالم الآخرِ، ولكنّي أشفقتُ على زوجتي التي تَمَلّكَها الرّعبُ، وابني الأكبرِ الذي عاينَ مشاهدَ الرّعبِ في حين غابَ أخوه وأخته عن حفلةِ الرّعبِ خلفَ ستارِ النّومِ العميقِ ، أشفقتُ عليهم ، وقررتُ مغادرةَ المكانِ فورًا وأنا أشاهدُ أعينَ زوجتي تتوسلني أن أفعلَها ولا نَبقى لحظةً واحدةً بغرفةِ الرّعبِ الرّهيبةِ.

أيقظنا النائمينَ ، وأسرعنا بالنّزولِ بعدما أخذنَا احتياطتِنا من الملابسَ للأطفالِ حيثُ برودةُ الليلِ الصّحراويةِ التي لا ترحمُ .

أعلمتُ الموظفَ المسؤولَ برحِيلِنا وقررّنَا مواصلةَ السّفرِ غيرَ أنّنا تذكّرنا صهري وأطفالَه بالغرفةِ رقم "13" فقررنا أن نبقى مُلاصقينَ للمسجدِ القريبِ من تلكَ الاستراحةِ حتى الصّباحِ ، نلوذُ بربّه ، فهو خيرٌ حافظًا وهو أرحمُ الرحمينَ .

نمتُ أنا وابني الأكبرُ بالمسجدِ ، ونام البقيةُ بالسّيارةِ حتى اسيقظنا على أذانِ الفجرِ ، فَصَلّينَا ثُمَّ اتصلتُ بصهري وأعلمتُه أنّه قد حَانَ وقتُ الرّحيلِ ، فَتَعَجَبَ لأنَّ الوقتَ ما زالَ مبكرًا ، فتعللتُ بعللٍ وحججٍ واهيةٍ فَوافَقَ متذمرًا ، ثُمَّ انشغلتُ بشراءِ

بعضِ مؤنِ الطّريقِ حالما يغادرُ غرفَتَه ويلحقُ بنا .

نزلَ يحملُ أطفَالِه وقد تدثَّرُوا بملابسَ كثيرةٍ وسطَ رياحٍ باردةٍ وطقسٍ سيئٍ ، وإذا به يسيرُ ناحيتنا ومعه الموظفُ المسؤولُ عن المكانِ والذي سأله عنّي وتساءلَ عن سببِ مغادرتِنا بعد ساعةٍ واحدةٍ من استئجارنا الغرفةَ رقم "9" !

جاء الرّجلُ وأعاد لي مئةَ ريالٍ ، وقال : أنتَ لم تمكثْ غيرَ ساعةٍ فقطْ ، وهذا حقُك فباغته سائلًا :

- وهل سألتَ نفسَك عن سرِّ مغادرتِنا ؟

فحاول التغابي ، فقلتُ له :

- اتق الله وأغلقْ هذه الغرفةَ ، ولا تكنْ سببًا في رعبِ الآخرينَ وإلحاقَ الأذى بهم .

اعتذرَ الرجلُ عمّا حدثَ قائلًا :

- نفعلُ إن شاءَ اللهُ .

هنا صمّمَ صهري على معرفةِ حقيقةِ الأمرِ وما دار بيني وبين الرجلِ وسرِّ انصرافِنا المبكرِ ، فأقسمتُ ألّا أقصُ عليه الأمرَ إلاّ عندما نعرجُ للتّزودِ بالوقودِ من إحدى المحطاتِ التّاليةِ ، ريثما يزولُ الظّلامُ ، نبتعدُ عن هذا المكانِ الذي لا

يحملُ كثيرًا من الخيرِ ، قصصتُ عليه ونحن نتناولُ إفطارَنا فأصابه الهلعُ والرّعبُ ، وكادَ يُغشَى عليه ، فقلتُ له :

- احمد اللهَ أنّك لم تكنْ مكانَنا .

فأقسمَ ألّا يكونَ أولَ نومٍ له إلاّ في بيتِه بالدوحةَ مهما طالت بنا ساعاتُ القيادةِ والسّفرِ ! وفعلًا واصلنا نهارَنا بليلِنا حتى استقرّ بنا المُقامُ بدوحةِ الخيرِ ، وحاولنا تناسِي تلك الليلةِ المرعبةِ غيرَ أنَّ زوجتي فزعت من نومِها في أولِ ليلةٍ بعد وصولِنا وظّلت تُهَمْهِمُ بكلماتٍ غيرَ مفهومةٍ حتى سَيطَرتُ عليها بتلاوةِ آياتٍ من كتابِ الله تعالى ، ولم أتركها حتى هدأت ونامت، وفي الصّباحِ قصّت ما لم تَقُصّه في نومها من كابوسٍ مرعبٍ بتلك الليلةِ المرعبةِ خوفاً أن تذكرَه وقتَها .

قالت : لما خلدتُ للنّومِ جاءتني امرأةٌ عجوزٌ بملامحَ مخيفةٍ مثلَ الموتِ ، وقد أشعلت بجوارها نارًا، حاولت السّيطرةَ عليّ وادعت أنّها جاءت لتنقذني ، وأنّها بعدما تنتهي منّي سيكونُ الدّورُ على زوجي، فالمكانُ جدٌّ خطيرٍ؛ وقد شهد وقتَ بنائِه جريمةً بشعةً حيثُ تعرضت فيه سيدةٌ للقتلِ ، وكأنّ لعنةَ الدّمِ استمرت بالمكانِ ، ولعلّ روحَ القتيلةِ تأبى إلاّ أن تبقى على صلةٍ بالمكانِ .

قمّةُ الألمِ .

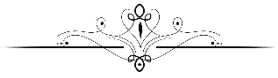

عندما تُحلّقُ في السماءِ ، وقَدَمَاك لا تقوي على مساندتِك ، وجناحاكَ لا يقويانِ على الطيرانِ ، ونفسُك تتواري خجلًا من مواجهةِ الغيرِ، وتعودُ أدراجَ محبسِك الكئيبِ مُحّملاً بمزيدِ خسرانٍ وبقايا من ألمٍ غشومٍ ، وتصيرُ شمسُك محرقةً وسماؤك ملبّدةَ الغيومِ ، ويصيرُ ألمُك الجارحُ خيرًا من شفاءٍ ، ورمالٌ تحتويك أفضلَ من قممِ الجبالِ ، وتري عدوَّكَ المهمومَ بغيظِه من نجاحاتِك الرائعاتِ خيرًا لكَ ممّن كنتَ له شمعةً مصهورةً في ليلهِ المظلمِ ، ويدٌ حانيةٌ تمسحُ دمعَه الحسيرَ، وتراك تغدو سابحًا نحو تصاويرَ الظّنونِ ،وتراه حبًّا حالمًا في صورةِ مسخٍ أو أضغاثِ المنامِ ،وتراك وهمًا عابثًا يرتوي ماءَ البحارِ، ولا تدري أنّ حبيبَك حُلُمًا صعيبًا لا يُنالُ ، فهو السّماءُ في جوّها الشّامخِ فوقَ الرؤوسِ، ويراك قزمًا غارقًا في وحلِ أرضٍ قاحلةِ النّفوسِ ، فتبقي الحقيقةَ في موتِك ، والخيرُ كلُّ الخيرِ أن تتبدّدَ ، وتصيرَ ذكري باليةٍ بين القبورِ أو حلمَ نسمةِ يومٍ عابثٍ مأواها دربٌ من جنونٍ ، فاذا تساوي الحلمُ والألمُ الصعيبُ مراسُه ، فخيرٌ لنفسِك أن تموتَ ،

والقبرُ قصرٌ رائعُ الأركانِ لا تدعه يفوتُ ، أن يصبحَ الموتُ إليكَ أعظمَ غائبٍ ، ولقاءُ مَن أحببتَ أظلمُ من قلوبِ الحقدِ أعياها الضّميرُ، وتراك رسمًا غائرًا لا يدري معنيً للمصير .

إلى هنا قد يصبحُ الألمُ الصعيبُ دواءنا، والجرحُ حلمًا رائعًا يشفي الأنينَ ، والقبرُ خيرَ مستقرٍ للهوي خلف أنيابِ السنين ، وتكونُ خيرُ مقولتي مرحي بجرحٍ غائرٍ يحميني من بطشِ الهوي وصدي حبيبٍ راحلٍ أعيتني نفسي أن يراني بعينِه ، وأنا هزيلٌ كيف يسمعُ صيحتي وهو الشّموخُ بعينه لا يراني لأنّي قزمٌ في عينِ الدّهرِ أمامه ، أو ربمّا ذرٌّ صغيرٌ يسكنُ الأرضَ الحقيرَ فرشها ، وتكونُ خيرُ مقولتي ألمٌ رفيقُ دربِنا خيرٌ وأفضلُ نعمةٍ ترنو إليها نفوسُنا .

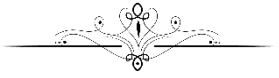

سجنُ الكلماتِ

أنْ تموتَ كلماتُك خلفَ سَجنِ الشّفاهِ الحصينِ ، أن تندثرَ منك المشاعرُ والحنينُ، أن يرتجفَ دمعُ الفؤادِ وينتحرُ نبضُ الأمانيِّ الراحلاتِ على المدى، أن تلتقي وحبيبَ عمرِك تدّعى سمتًا يخالفُ ما تعاني وترتجي ، أن تنحرفَ منك الحروفُ وتنمحي نبضاتُ قلبٍ عاشقٍ فَقَدَ الأمانَ مُحقّقًا ، وترى عيونَ النّجمِ تعلو بنورِها والشّوقَ ضِدَّ ضيائها، وتراك دومًا تدّعى ما ليس فيك ، ويكونُ صمتُ الرّوحِ سجنًا يحتويك ، هل ترتجي دربًا تراه يَضُمّنا، تلك الحياةُ هل تراها حُلمنَا ؟ هل من جديد ؟ قد عدتُ صوبَ الكهفِ أحملُ خيبتي ، أرنو سريعًا للظّلامِ وأنزوي ، هل من جديدٍ؟

في كل دربٍ كنتُ أحفظُ عزّتي، أحمي الكرامةَ لا أبيعُ هويتي ، وكرامتى ! جبلٌ أشمُّ لا أراني أهزَّه ، ويظّلُ يرنو في السّحابةِ عزّهُ ، هذي الحقيقةُ كلُّها ، قد بعتُ نفسي وارتكبت حماقتي، وإذا لحبّي أستحيلُ مقامرًا ، وأعودُ دومًا للمغارةِ ذاتِها ، هل من سبيلٍ ؟ ليت الخلاصُ الموتَ أرشفُ ريحَه ، ويصيرُ دربي يحتويني بقبرِه ، ما من سبيلٍ .

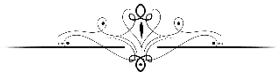

صديقُك من الألفِ إلى الياءِ

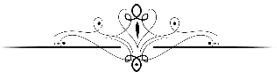

محاكاة لـ : Are you " A " to " Z " friend

صديقُك من الألفِ إلى الياءِ .

صديقُك الحقُّ :

أخوفُ عليك من نفسِك التي بين جنبيك.

بحرٌ من الصّدقِ والأمنِ والطّمأنينةِ تأنسُ نفسُك إليه.

تاريخٌ من صفحاتِ حياتِك النّقيةِ والطّاهرةِ .

ثوبُك الأبيضُ الذي يريك أخطاءك وزلّاتك .

جمالُ نفسِك الأبّيةِ ، ومؤشرُ نجاحِك الاجتماعيّ .

حارسُك الأمينُ ضِدَّ هجماتِ المغرضينَ والمتربصين .

خاصةُ نفسِك ، وخادمُ معاني الصّداقةِ الحّقةِ .

دليلُك الوفيُّ ، ودربُك الأبيُّ .

ذاتُك المضيئُة تنيرُ لك الطرقاتِ .

رأسُك المدبّرُ ، ورسولُك الفطينُ.

زهرةُ عمرِك اليانعةُ في بستانِ حياتِك الوضيئةِ .

سرُّك الدّفينُ ، وجسرُك المتينُ .

شاهدٌ وشهيدٌ لعمرِك المديدِ .

صديقُك الصّدوقُ ، وصورةُ الحياةِ الحقيقةِ بعينيك .

ضميرُك النّاطقُ ، وصوتُك الصّادقُ .

طهرُ مَنْ عَرَفتَ ، وخيرُ مَنْ شَرُفْتَ .

ظلُّك الظّليلُ في شمسِ حياتِك المُحرِقةِ .

عونُكَ النّافعُ حين يخذلَك الآخرونَ .

غدُك المشرقُ ويومُك المؤنسُ وماضيك الرّغيدُ .

فضلُ اللهِ عليك ، ورزقٌ ساقه اللهُ إليك .

قدرُك السّعيدُ الذي يُخفّفُ عنك مِنْ طولِ دربِك بالحياةِ .

كونُك الرّحيبُ ، وهو عندك خيرُ حبيبٍ .

ليلٌ مظلمٌ ظَلومٌ على عدّوِك ، وفجرٌ مضيئٌ لأحبائِك.

مرآتُك الصّادقةُ ، ورفيقُك لجنّاتِ النّعيمِ .

نورٌ ساطعٌ في حياتِك لا يخبو ما دامت الحياةُ .

هدوءُ نفسِك في ثورتِها ، وضياءُ عقلِك في ضلاله.

وضوحُ نفسِك حينَ تُظلمُ عليك جوانبُ الدّنيا بأسرِها.

يضرُّ نفسَه لينفعَك ويُشتّتَ شملَه ليجمَعك .

وخيرُ كلامِ البشرِ قولُ المعصومِ : عن أبي هريرةَ ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال : الرجلُ على دينِ خليله ، فلينظرْ أحدُكُم مَنْ يخالُ .

محطةُ وصولٍ.

في رحلتِنا القصيرةِ عبرَ ممرِّ الحياةِ الفانيةِ نلتقي مَنْ يلتصقُ بذاكرتِنا ويستوطنُ ذاتِنا ، تكادُ ألّا تفقدَه مِنْ فرطِ التصاقِه بكيانِك ويدومُ فقدُك له من فرطِ تعلّقِك به ، تجتمعُ فيه الصّفاتُ التي نقشها قلبُك على جدرانِه ورسمها عقلُك في ملايينَ ملايينَ خلاياك وأعصابِك التي لا تنتهي، تعيشُ فيه ومعه وله حيواتٌ مختلفةٌ مترامياتٌ لا تستطيعُ منه اقترابًا ولا ابتعادًا، يلعبُ كلَّ الأدوارِ بمهارةٍ تفوقُ أعظمَ مُمثلي العالمِ براعةً وإتقانًا ، ويُبهرُك حدَّ الفتنةِ والجنونِ ، تتوه فيه وتحتارُ حبيبًا وصديقًا وأخًا ونفسًا وأنفاسًا ، وتمضي بك الأيامُ تتمنّى سببًا يتيمًا لتبغَضه إيذانًا بالرّحيلِ ، فلا تجدُ وهيهاتَ هيهاتَ أن تجدَ ، تخشى التعلّقَ به وأنتَ في حقيقةِ أمرِك متعلقٌ بِه من قمّةِ رأسِك الى أخمصِ قدميك .

وتظّلُ لك الحسرةُ والعَبرةُ في صمتِ ألمٍ وابتسامةِ أملٍ هامسًا لذاتِك المُترَعةِ ألاّ تتعلّقَ بمستحيلٍ فاتَكَ خيوطُ تَحَقُّقه مِنْ زمنٍ بعيدٍ ، ورغمَ ذاك تظلُّ دومًا روحُك تنعمُ بامتزاجها مع روحِه الحانِية حتى وإن ضاعَ من الأجسادِ محطّةُ الوصولِ .

محبوبتي

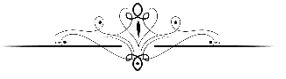

مُتعَطِّشٌ لهمسِك الحالمِ ، مُتأججةٌ المشاعرُ في دواخلي، مُتهالكٌ ... أعيتني الغربةُ وأرهقي الرحيلُ .

ريحانتي، نسائمي العطرة ، ضحكاتي النّاعمةَ ، نبضاتي الدّافئةَ، أين أنتِ حبيبتي من حبيبك الحائر؟

أين أنتِ مِنْ صغيرك الضّائع ؟ أعيتني غربتي وخذلتني حيلتي ، فلا عودةَ إلاّ إليكِ ، ولا رِواءَ إلاّ مِنْ نَبعِك الفيّاضِ ، أرجوكِ مليكتي اسقيني ولا تبخلي ، ضمّيني ولا ترحلي ، فأنا حبيبُك المطيعُ وبقيةٌ من حبّك الخالدِ الذي لا يعرفُ نهايةً ، ولا يبغي عنك الرّحيلَ .

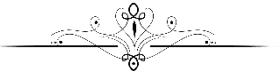

في ذكري رحيلِك يا أمّي.

في ذكري رحيلِك يا أمّي .

زادتْ عليَّ شَقَاوتي ، والنّاسُ في عيني هياكلُ زائلةٌ .

ظلٌ كئيبٌ يدّعي إحساسًا .

كم أدعو ربّي أن يفيضَ بفضلِه !

يرحمَ ويغفرَ لكِ أمّاه .

وتكوني أنتِ اليومَ في جنّاته.

فردوسَ ربّي يكن مثواكِ .

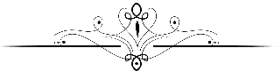

الأقنعةُ البشريةُ .

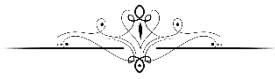

تتفاوتْ الأقنعةُ البشريةُ في ألوانِها وكثافتِها وأصنافِها ، فمنها ذاتُ الألوانِ الفاتحةِ بدرجةِ نقاءِ قلوبِ واضعيِها ، ومنها ذاتُ الألوانِ الدّاكنةِ بمعاناةِ مَنْ يغوصُ في أعماقِ بحرٍ لُجيّ ، ظلماتُه بعضُها فوقَ بعضٍ إذا أخرج يده لم يكد يراها من شدّة الليل البهيمِ الذي يستترُ خلفه صاحبُ هذا القناع المنتمي لرؤوس الشّياطين ، ومنها ذاتُ الأعمارِ القصيرةِ التي يضطرُّ إليها واضعيها في ظرفٍ ما تفرضُه عليه عقباتُ الحياةِ وقساوتها ، ومنها ذاتُ الدّهورِ المديدةِ ، تكادُ تكونُ كالعازلِ الفولاذيّ الذي يستحيلُ معه تمييزُ سوءِ باطنِ واضعِه لمهارتِه وقدراتِه الفرديةِ الخارقةِ في الخداعِ ونسجِ شَرَكِه لضحاياه المغبونينِ .

ومنها أقنعةٌ تُصَنّفُ إلى أقنعةِ الهُواةِ وأقنعةِ المحترفينَ الذين أجادوا الفنَّ ، فلا عاصمَ مِن نارِهم إلاّ مَنْ لاذَ بحصنِ اللهِ المنيعِ .

وفرقٌ شاسعٌ بينَ مَنْ يرتدي قناعًا يستترُ به ليحجبَ بعضًا مِنْ خصوصياتِه ، فيحسبه الجاهلُ غنيًا من التعفّفِ ورفعةِ نفسِه رغمَ رقّةِ حالِه واحتياجِه ، وبين المحترفِ الذي يمتلكُ أعدادًا لا تُحصى مِنْ الأقنعةِ المتنّوعةِ ليخدَع غيرَه ويعبثُ بحياتِهم أو يستبيحَ

حمَاهم الحصينِ ، لذا كان لزامًا أن تعيي حيلَ الزُّمرةِ ذاتِ الأقنعةِ الدّاكنةِ لا لتنضّمَ لفرقتِهم المسرحيةِ تتجولُ معهم بين النفوسِ لتخدعَها وتستبيحَ حدودَها ، بل لتتحصّنَ ضِدهم وتجتنبَ حيلَهم كما قال الفاروقُ عمرُ ﷺ: " لستُ بالخبِّ ولا الخبُّ يخدعني " .

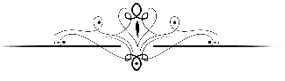

خامسًا : الخواطِرُ والحِكَمُ

قمرٌ أنتِ

مِثْلُ قَمَرٍ في منازِله العُلا

تَبْقِينَ أنتِ

عُنواني ووجداني وأنفاسي وأحلامي وأشواقي ودمي .

حَصْرًا ملكتِ حقوقَ الطّبعِ والإفصاحِ والإبداعِ

والإحساسِ الملهِمِ .

الآن

تستقرُّ روحي حينَ تُخْبُرينِي بأنّكِ معي مثلَ ظلّي ودمي ، مثلَ

نبضي وأنفاسي التي بِدْفءِ قلبِك تحتمي .

وأنّ هذا العالمَ بأسرِه خَلْفَ ظَهْرِكَ إلّا أنا.

وأنّي ـ أنا المُتَيّمُ بِهَواكِ ، محورُ اهتماماتِك وفروعُها المتشعّبةُ

في حنايا ذاتي وماضيَّ ويومي وغدي .

الفصولُ الأربعةُ .

لن يكونَ عُمْرُك كلُّه ربيعًا ، بل ستتناوبُ عليكَ الفصولُ الأربعةُ ، فتارةً تلفحُك حرارةُ الخَيْبَاتِ وتارةً تَتَجَمَّدُ في صقيعِ الوحدةِ ، فلا تجزع عندما تتساقطُ أحلامُك اليابسةُ من أشجارِ الثّقةِ العمياءِ في زمنِ خريفِ مُخَيِّبِي الظّنُونِ ، وَثِقْ بعْدَ عَثَرَاتٍ أنَّ حياتَك سوفَ تُزْهِرُ مِنْ جَدِيدٍ .

قال لها.

قال لها :

لم أحبّكِ لأعصِيَ اللهَ فيكِ يومًا ،

بل أحببتكُ بِطُهْرٍ يسمو بنا عن دنيا المعاصي .

قالتْ بحزمٍ :

إذاً ، فالدّارُ يُطْرَقُ بابُها ،

وأتبِعْ بريقَ القولِ فعلًا كَنورِ الفجرِ،

يَمْنَحُنِي مَعانِيَ الصدقِ دونَ انتقاصٍ .

الأهدافُ الواعيةُ .

مِنْ صورِ النّجاحِ الماتعةِ أنْ تَعيشَ سنواتٍ مِنْ عُمْرِك يَسْتَهزِئُ بأهدَافِكَ وطموحاتِك أصنافٌ وفئامٌ من المحيطينَ بك ، ثمّ تعيشُ بَقيةَ حياتِك وقد حقّقتَها بصورةٍ لا يستطيعُ هؤلاءِ المُثْبِطُونَ أن يصلوا إليه ، وتستحيلُ جَعْجَعَتُهم الخاويةُ عَضًّا للأناملِ ، وتبريراتٍ طفوليةً لأسبابِ انفلاتِك من مدارِ الفشلِ وجاذبيةِ الانبطاحِ ، فلا تَتَخلَّ عن أهدافِك الواعيةِ وطُمُوحَاتِك المشروعةِ مَهْمَا تَحَالفَ عليك سكانُ السّفوحِ .

ردُّ الجميلِ .

لا تَنْتَقِصَنَّ

مَنْ انحنى يومًا ليرْفَعَك .

أو شَتَّتَ شَمْلُه ليجْمَعك .

واغنم رِضَاه لعلّ بِرَّه ينْفَعَك .

مرافئُ الصّمْتِ الحكيمِ

على مَرَافئِ الصّمْتِ الحكيمِ تَنْدَرِجُ رُوحٌ ثَكْلَى ، وتَتَّكِئُ دموعٌ حيارى ، وتُخَطُّ رسالةُ عشقٍ تَحُطُّ رِحَالَها على صَدرِ الفراقِ الحزينِ .

رحلةُ حبٍّ.

في رحلةِ حُبّك المُتناميةِ عبرَ سفينِ العمرِ وفناءِ السّنينَ احرص ألاّ تُسْرِف في إبحارِك عبرَ أمواجِ العاطفةِ المُضطربةِ ، فيسقط منكَ في خِضَمِ ترحالِك وقعُ خُطواتِك وذكاءُ المسافاتِ.

فلا تكن ذا لهفةٍ طائشةٍ فتُلغى،

ولا جبلَ جليدٍ فتُنسى

كمغامرِ طيشٍ لا أرضًا قَطَعَ ، ولا ظهرًا أبقى .

أعيروني.

أعيروني قليلًا من قسوتكم ،
وتَملّكوا شيئًا مِن حناني ،
وكفاكم نصرًا مؤزّرًا بحسنِ ظنوني المستباحةِ بأرضكم ،
وكفاني من نيرانِ الهزيمةِ ما أُعاني .

الخَسارةُ .

ليستِ الخَسارةُ أنْ تخسرَ مَنْ أحببتَ يومًا ،وكان مِنكَ كلُّ شيءٍ ،
لكنَّ الخَسارةَ أن تخسرَ نفسَك وأنتَ تُقاتلُ لإرضاءِ مَنْ لا تعني
لهم أيَّ شيءٍ .

ابتسم.

ٱبتسم رغمَ سخافاتِ الحياةِ مِنْ حَولِك ،
رَغْمَ أنفِ الحاقدينَ والُمثَبِّطِينَ والمُتَحجّرِينَ في ذواتِهم الآسنةِ .
تألَّقْ رغمَ بشاعةِ المرايا وسوءاتِ الواقعِ المريرِ.
لا تَتَخَلَّ عنْ إشراقِك و تفاؤلِك وابتسامتِك وتَشَبَّثَ بأحلامِك الغَضَّةِ وطموحاتِك الحالمِة .
فإنْ سَكَنْتَ ديارَهم ، وانْكَسَرتَ لخوْرِهِم وشابتْ مِنكَ الأمانيّ ،
فخيرٌ لذاتِها تَذْكَرةُ الرحيلِ.

المنطقةٌ المظلمةُ.

منطقةٌ مظلمةٌ في أبعدِ كهوفِنا عمقًا واختفاءً ،
يأبى كلُّ أحدٍ أنْ يُظْهِرَها لعوالمِ الشّخوصِ والمشاهدةِ ، يلجأُ
إليها، يُخاطبُها ويَخفي فيها مزيدًا ومزيدًا مِن آلامهِ وآمالِه
ومخاوفِه التي غَذّتْها قسوةُ الليالي وأدْمَتْها براثنُ منتسبي
الإنسانيةِ ادعاءً وزورًا ،
فإذا بها تستحيلُ صُنْدُوقَه الأسودَ الذي يُدْفَنَ معه حينَ تتلاشي
منه أنفاسُ الحياةِ.

قطارُ الفرصِ .

لا تنتظرْ قطارَ الفرصِ ، بل اصنع قِطَارَكَ ، وطَارِد نَجاحِكَ ، فقِممُ
الجبالِ لا تشعرُ بِمَنْ يَتَخِذُ الحُفَرَ أوطانًا وديارًا .

تأشيرةُ عبوديةٍ .

خُنُوعَكَ واستمراؤك الدّعَةِ ، واستوطانُك المستنقعاتِ الآسنةِ ومنابتِ الحُفرِ ، وقبولُك الدَنِيّةِ مَعلَمًا وحياةً ، يمنحُ المتربصينَ بكَ تأشيرةَ استعبادِك واستباحتِك واتخاذِ ظهرِك مَطِيَّةً وسبيلاً للرفاهيةِ والاستعلاءِ .

الحبُّ مِنْ طرفٍ واحدٍ .

الحبُّ مِنْ طرفٍ واحدٍ كائنٌ وحيدُ الخليةِ ، لا يُقيمُ حياةً ولا يُحيي الموات .

ليس له نصيبٌ ولا حظٌّ مِنْ اسمِه ، كالبحرِ المَيّتِ؛ لا هو بحرٌ ولا هو يَمتلكُ مقوماتِ الحياةِ ، وهو يذهبُ بضحيتهِ مذاهبَ شتى ويسلكُ بها مسالكَ المعاناةِ الدّاميةِ والألمِ الرّهيبِ الذي لا يندملُ له جراحٌ ، فينتهى بصاحبِه لكهوفِ الصّمتِ السلبيّ وخواءِ النَّفسِ المكلومةِ وأعراضِ الاكتئابِ .

مشاعلُ النُّورِ .

وإنْ نَخرتكَ أمواجُ الحياةِ وإنْ عَبَثَتْ بكيانِك عواصفُ الدّهورِ وأدارت لك الدّنيا محاسنَ وجهِها ، ووطئتك بمناسمِها الباليةِ العقورِ، قاوم ثُمَّ قاوم ، لأنّك تَملكُ مقوماتِ الحياةِ ، لأنّك صِدقًا تستحقُّ ارتقاءَ منصاتِ النّصرِ، وارو نفسَك الظّمأى مِن فيضِ ربكَ العدلِ ، وآمن بحقِّك في رفعِ راياتِ الأملِ والارتقاءِ نحو مشاعلِ النُّورِ .

كن ذا مروءةٍ .

قلبٌ لا تستطيعُ أن تفيضَ عليه فرحًا وصدقًا وشموسَ النّهارِ ، وتُديمُ فيه راياتِ الطُّمأنينةِ والثّقةِ وقلاعِ الانتصارِ، فلا تخدش فيه براءتَه النَّقيةِ ، فتحيلُ حياتَه جحيمًا من ندمٍ وألمٍ و مكابدةِ ليلٍ بهيمٍ أملًا في الخلاصِ والفرارِ .

عيونُك وطني.

قالت : ألا تخشى أمواجَ الحياةِ العاتية ؟

قال : وما قيمتُها ، وحبُّك نجاةُ وسفينٌ .

قالت : وقسوةُ ليالي الاغتراب ؟

قال : عيونُك وطني ، وإخلاصُك شمسٌ تُبدّدُ ليالي السّفرِالحزينِ .

سراجُ الحياةِ.

يظُّل الرجلُ شابًا ينعمُ في جنَّتِه الأرضيةِ التي تُحبّه لذاتِه ، حيثُ لا مصالحَ دنيويةَ ، ولا غاياتٍ خبيئة ، فإذا انطفأ سراجُ حياتِها الجسديةِ استحالت حيويتُه رمادًا ، وشبابُه شيخوخةً واندثارًا.

شَتَّانَ.

إمّا أنْ تنشغلَ بمعاني الحياةِ ، أو تسيطرُ عليك مفرداتُ الهلاكِ .
شَتَّانَ بين مَنْ يزرعُ شجيراتِ زيتونٍ وإحدى قدميه في ظلمةِ قبرِه لينفعَ غيرَه ، وبين مَنْ مَسَّه طائفٌ من جنِّ الفشلِ فأشعل النّيرانَ في أطواقِ النَّجاةِ .

صَمَّامُ الأمانِ.

ويبقي هو لكِ مأواك ِوصَمّامَ الأمانِ ، وتبقينِ أنتِ له نبعَ السَّعادةِ وفيضَ الحنانِ ، فاذا اختلَّت المعادلةُ استحالت الحياةُ ضَنْكًا انقرضت بأرضِه راياتُ الأملِ وأطواقُ النَّجاةِ .

توازنٌ .

لا تبالغ في رفعِ رأسِك ، وجذورُك ثَكْلَى ، لا أرضٌ تَضُمُها ولا أصولٌ تُرّسّخُ لها معطياتِ الحياةِ .

التخطيطُ والهمجيةُ .

فرقٌ شاسعٌ بين التّخطيطِ والهمجيةِ ، بين البصيرةِ والتَخَبُّطِ في دياجيرِ الظّلامِ ، بين موازنةِ المصالحِ والمفاسدِ وبين الإسرافِ في العاطفةِ وإسنادِها زمامَ الأمورِ، بين ثورةٍ تحتوي أسبابَ نجاحِها وانتفاضةٍ تحملُ كفنَها بين كُفُوفِها المَعِيبةِ ، وهذا الذي يصنعُ الفارقَ الجوْهَرِيَّ في حياتنِا وقتَ أنْ تتجلَّى اللحظاتُ الحاسمةُ في حياةِ الأفرادِ والشّعوبِ .

أقلامُ التّلوينِ .

حياتُكَ مجموعةٌ مِن أقلامِ التَّلوينِ تجتمعُ فيها معاني الأملِ والألمِ والكلماتُ المبهجةُ والأحداثُ التَّعيسةُ ، فكنْ مِثْلَ البحرِ يذهبُ زبدُه دونَ أن يتأذَّى منه أحدٌ ما ، واجعل مُحيَّاك كواجهةِ البحرِ يَحْوي الدُّرَرَ ويفِيضُ على الكائناتِ مِنْ خيرِه ويَسرُّ النَّاظِرينَ .

لمسةُ جنونٍ .

لا تجعلْ لإبداعِك سَقْفًا مِن توقعاتِ الآخرينَ ، واصهر أحلامَك في بَوْتَقةِ طموحاتِك ، وطَوِّر مِنْ قدراتِك مع لمسةِ جنونٍ ومخاطرةٍ ، فَمَن استَوْطَنَ الوسادةَ فاتته طائرةُ السّيادةِ.

عدوى الطّموحِ .

بقاؤك في بيئةٍ انهزاميةٍ يُقيّدُ طموحَك ويَسْلُبُك طاقاتِك الإيجابيةَ ، ويمنحُك العضويةَ الدّائمَةَ لنادي الخانعين ، فانهض لِتَوّك ، ولَمْلِمْ آمالَك ، والحَق بِقطارِ النّاجحينَ لعلّك تُصَابُ بعدوى الطّموحِ العنيدِ .

الإصرارُ

إصرارُك على الحياةِ يحيلُ عودَك الضّعيفَ معولًا جبارًا يفتكُ بأعتى صخورِ المستحيلِ ، فاستعن باللهِ ولا تعجز يشتدّ عودُك ويثبّت جذرَك وتجني ثمارَك كلَّ حينٍ .

تقلّبُ الفصولِ

تتقلّبُ عليك الفصولُ والمواسمُ ، فلا تَجْزَعَنَّ إذا تساقطت عنك أوراقٌ من بني البشرِ لم تتحمل فصلَ الخريفِ بتقلباتِه وعواصفِه ، ولا تَنْدَمَنَّ على مفارقةِ مَنْ لم يتحمَّلُوا حرَّ الأقدارِ ولهيبَ الأزماتِ وآثروا الرّحيلَ على الاستمرارِ معك ، وَثِق أنَّ بعدَ الشِّتاءِ الطَّويلِ لا بدَ مِن ربيعٍ مِن العلاقاتِ النَّبيلةِ يُحيي مَواتَ المشاعرِ وأزماتِ الثّقةِ في الآخرين .

إليكِ.

أنفاسَ عمري ومُنيتي .

أحلامَ قلبي وجنَّتي .

أما زالَ قلبُكِ حائرًا مترددًا يخشى طعناتِ الفراقِ وغدرها ؟

أغمضي عينيكِ واطْرَحِي عنِك أحزانَ السّنين وظلمَها .

فتلك أشرعتي على حصونِ ديارِك كسّرتُها ، حتى أفلاكي وسفينُ البحارِ على شطآنِ قلبكِ حرّقتها ، وتلك راياتُ نصري وكبريائي دونَ طوفانِ حُبّك بكلّ قناعةٍ تحت شرفاتِ قلبك أرخَيْتُها ، فلتُقبلِي ولتقبَلي جميلَ أقدارِنا ، ولِنَسْرِق مِن بينَ قبضاتِ الزَّمانِ مُؤَجَّلاتِ أحلامِنا ، وإنْ كانَ ثَمَنُها الانعتاقَ مْنِ أغلالِ السّفوحِ نحو مَسَاراتِ النُّجومِ وأقمارِها.

فلن ينالَ نصرًا مَن كانَ دَيْدَنَه الخوفُ والخضوعُ، وتذكرةُ أسفارِه مَوسومةٌ بأختامِ القطيعِ .

سفينةُ الحياةِ.

تمرُّ بنا سفينةُ الحياةِ ما بين تلاطمِ البحارِ وأمواجِها وغدراتِها ، ونعودُ من أسفارِنا بمغامراتِ الجُنونِ وأهوالِها وأحلامٍ تَكَسَّرت وحسراتٍ أدمت قلوبنَا الطُّفوليةَ لتلقي بنا على رمالِ شطآنِ الحياةِ لتسخرَ مِنَّا مُطالبةً خنوعًا واستسلامًا لقوانينِ الجموعِ الملتصقةِ بالتّرابِ ، فما نلبثُ أن نفرَّ منها نحو أقدارِنا ، ونبحرُ من جديدٍ بأحلامٍ مُؤَجَّلةٍ نموتُ مِن أجلِها جاعلين مِن البحارِ والمحيطاتِ قبورًا لنا مع ابتساماتِ النّصرِ وجسارةِ القلوبِ ونقاءِ النُّفوسِ .

ولا عزاءَ لأجسادٍ خاويةٍ بينها وبينك سنواتٌ ضوئيةٌ مِن الخيالِ والقدرةِ على الانتظامِ في مساراتِ النُّجومِ ، فمهما حاولتَ فلن تُقْنَعَ فاقدي البصرِ بخبرةِ الألوانِ وسحرِها ، بل كيفَ يُدرِكُ فاقدو البصيرةِ لذَّةَ المغامرةِ ونشوةَ المبادرةِ وحيازةِ الزّمامِ .

أبوابُ السَّعادةِ .

مِن أعظمِ أبوابِ السَّعادةِ العطاءُ وجَعلُ المالِ في إحياءِ مَن قَتَلَهُم الفقرُ ومَثَّلَ بجثثِهم وألقى بها في قارعةِ طريقِ الحياةِ البئيسِ ، السَّعادةُ هي الطّوافُ بمعداتٍ خاليةٍ ، هي رجمُ الجوعِ اللّعينِ في بطونِ المحرومينَ ،هي السّعيُ لقضاءِ حوائجِ المكلومين .

فهي سعادةٌ للفقيرِ وسعادةٌ للغنّي وفيها إطفاءٌ لغضبِ الرَّبِّ سبحانه وتعالى .

لا تندفعْ .

لا تندفعْ بمشاعرِك ، فتدفع الثّمنَ غاليًا ،

ولا تَشُحْ بكلماتك ، فتفقد قلوبًا تحتاجها ،

ولا تُعاتب كُلَّ شيءٍ ، فيتعِبك أيُّ شيءٍ .

فالشجاعةُ في بعضِ الأحيانِ تَهورٌ وحماقةٌ ،

والتغافلُ في كثيرٍ مِن الأوقاتِ فطنةٌ وكِياسةٌ .

كن ذا أثرٍ .

كن ذا أثرٍ طيبٍ ، وازرع الخيرَ تَحُز سَبْقَ رضا نَفْسِكَ وسعادتِها ، وتَتَصَالح مع ذاتِك الحائرةِ ، وإياكَ ونثرَ بذورِ الشوْكِ بالطّرقاتِ ، فلعلك تَمُرُّ حافيًا بها يومًا ما ، فَيُدْمِيكَ ما أدمَيْتَ به الآخرينَ ، ووقتُها قد يلمسُ وجدانُك حكمةَ القدماءِ " مَن حفرَ لأخيه جُبًا وقعَ فيه منكبًا ".

كلُّ مرٍّ سيمرُّ .

كلُّ مرٍّ سيمرُّ ويعقبُه ما يُسعدُ ويَسّرُ ، وتأتي أحلامُك مشرقةً بنسماتِ الحرّيةِ ونقاءِ ساعاتِ الفجرِ الرّقيقِ بفيضٍ مِنْ الفرحِ ودموعِ السَّعادةِ والانتصارِ بهمساتٍ حانيةٍ في أذنيك ، فَتَحُطَّ رِحالَك على عتباتِ نصرِك حيثُ محطةُ الوصولِ وتشرعُ في نزعِ قضبانِ قطارِك صانعًا منها ملاذًا فولاذيًا آمنًا يَحمي ما حققَّته مِن أحلامِك المُؤَجّلةِ التي ظنَّها الآخرونَ دربًا مِن مُحالٍ ، ثُمَّ تجلسُ إلى صديقِك البحرِ تتهامسانِ عن رحلتِكما سويًا خلالَ بواباتِ الأملِ وأسوارِ المستحيلاتِ مُدونينَ قِصَّتَكِما عبرَ نُقوشِ الأحرف وأثيرِ الكلماتِ .

الأقدارُ الجميلةُ .

لعلّ الأقدارَ الجميلةَ تحقّقُ لك أحلامَك المُؤَجَّلةَ ولو بعدَ حين ، وحينها لا تدري أأحلامكُ أجملُ أم الأقدارُ الحانيةُ ؟
وحينها تَلُحُّ عليك نفسُك كي تَتَلمَّسَ حُلْمَك المُؤَّجَلَ مُنذُ سنواتٍ طويلةٍ لتتأكدَ هل ما زلتَ تحلمُ وتطيرُ في فضاءِ الخيال ؟

إذا ضربتَ فأوجعْ.

في بعضِ الأحيانِ يكونُ من الحكمةِ " أن إذا تَكَلَّمتَ فأسمع وإذا ضربتَ فأوجع " ، فهناكَ كائناتٌ هلاميةٌ إذا أتيحت لها فرصةُ الاقترابِ والولوجِ في عالمك الخاصِ استباحت أرضَك وعبثت بحماك .

ناطحاتُ السّرابِ .

لا تبالغ في اندفاعِك نَحْوَ قِممِ ناطحاتِ السَّرابِ ، لأنَّك ستعاني كثيرًا في رحلتك نحو الهاويةِ ، وقتُها ستصرخُ توجعًا ، وتبكي دمًا ، وأنتَ ترى أحلامَك تنسحقُ وعظامَك تتكسَّرُ ويضحكُ منك السّفلةُ وأربابُ الوضاعةِ والانحطاطِ .

ضع بصمَتَك .

ضع بصمتَك لتحيا بسمتُك ؛ وانهض مِنْ سكونِك ، واستدعِ شيئًا من جنونِك ، فقاطرةُ المجدِ لا تقبلُ الملتصقينَ بترابِ الأرضِ ولا تمنحُ تذاكرَ مجانيةً لضعافِ العزيمةِ المشَّائينَ في ظلماتِ الدَّعةِ وحاناتِ الخاملين .